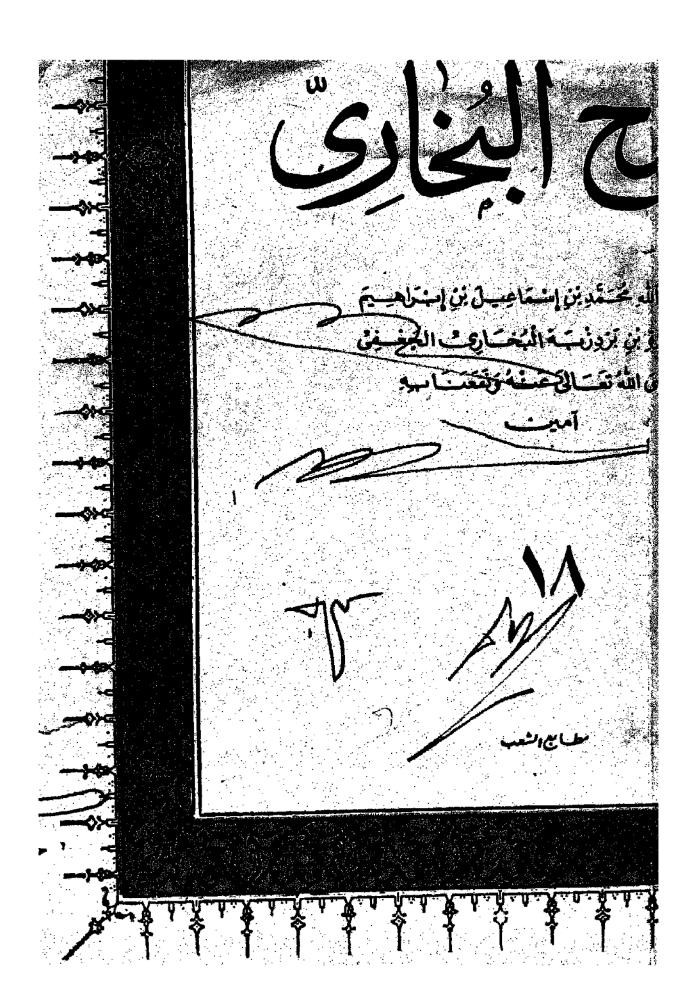
تنوير الأفهام

مصادر الإسلام


ح البُخارِيّ
الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
بن بردزبة البخاري الجعفي
الله تعالى عنه ونفعنا به
آمين
١٨
مطابع الشعب

تنوير الافهام

في

مصادر الاسلام

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ

(سورة الرعد ١٣ الآية ٤٠)

تأليف

و . سنت كلاير تِسدَل

مقدمة

﴿ بسم الله الهادي ﴾

الحمد لله الذي ميَّز الانسان بالنطق والبيان وخصَّهُ باشرف المواهب واسماها وأجلّ النِّعم وأسناها (اي) العقل الذي بهِ يتوصل الى معرفة الرحمن الرحيم وبهِ يهتدي الى المنهج القويم . فيتمتع في الآخرة بفردوس النعيم ويحظى بالسعادة الجليلة والنعم الجزيلة . قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فاللهمّ اجعلنا من عبادك المصطفين ومن اصفيائك المختارين وهبنا من لدنك عقولاً سليمة وأفكاراً مستقيمة توصلنا الى الحق والحياة لنفوز بنعيم الخلد والنجاة فقد مددنا اليك يد الاستعانة وبخعنا اليك بالاستكانة والمسكنة وانت نعم المولى ونعم المعين (اما بعد) فلا يخفى على ذوي الالباب المشهورين بالتحقيق وذوي الفطن المعوّل عليهم في التدقيق بانه كما ان جمال الاجسام السمويّة

العجيب ونظام الكائنات الارضيّة الغريب وترتيب الموجودات على ما نراه من الاتقان والاحكام لم يأتِ من العدم الى الوجود بدون سبب وعلّة بل بالعكس قد اوجدته يد المولى سبب الاسباب وواجب الوجود المولى القدير سبحانهُ وتعالى. فعلى هذه الطريقة نقول ان كل شيءٍ سواء كان فعلاً او قولاً او فكراً لا بد ان يكون له سبب خصوصي لا يمكن ان يحصل بدونه فانه لا بد للأثر من مؤثر وللمعلول من علة والمسبب من سبب وبما انه توجد في هذهِ الدنيا مذاهب شتى واديان متنوعة مختلفة فمن البيّن الواضح انهُ لا بدّ ان يكون لكل دين من هذه الأديان سواءً كان حقيقياً او كاذباً مصدر صدر منهُ وانبعث عنه كالمجرى التي تصدر من الينبوع . وبما ان الديانة الاسلامية انتشرت في هذه الأيام في بلاد كثيرة وأخذت بمجامع افئدة وعقول ملل عديدة وأُمم شتى وبما ان كثيرين من النوع الانساني اعتقدوا بهذا الدين وجعلوهُ أساس رجائهم ومنتهى منيتهم وغايتهم رأيت ان أضع هذه الصحيفات الآتية مستعيناً بحولهِ تعالى للبحث بالدقة في مصدر هذه الديانة . لان اليهود

والمسيحيين لم يقبلوها بل قالوا اخذنا في البحث والتدقيق علّنا نجد بينات الهيّة وادلة قوية تؤيد صدق هذه الديانة فلم نجد دليلاً ولم نهتدِ الى ذلك سبيلاً . وزد على ذلك ان كثيرين من الذين كانوا متمسكين بهذا الدين بطريق التقليد عن أبائهم واجدادهم بدون بحث ولا تحقيق رفضوهُ الآن سرًا وجهرًا وتمسكوا بمذاهب اخرى لانهم لم يجدوا من يستطيع ان يبرهن لهم صدق الديانة الاسلامية بكيفيـة معقولة ومقبولة . او ان يقنعهم بانها الدين الحق الوحيد . ولا نشك ان بعضهم ألّف كتباً مثل (ميزان الموازين) و (حسام الشيعة) وما شاكلها في هذا العصر وفي الأعصر السالفة ولكنها لم تروِ غليل العاقل النبيه لان ادلتها لا تزيل الشبهات ولا تدرأ المشاكل من فؤاد الباحث عن الحق الذي يودّ الاهتداء الى سواء السبيل . لان مؤلفي تلك الكتب المذكورة آنفاً اظهروا غيرة عظيمة في تأييد دياناتهم وبذلوا الجهد الجهيد علّهم يدحضون اعتراضات من قوّموا سهام الطعن في ادلتها ولكن من سوء الحظ ان معلوماتهم لم تكن قدر غيرتهم المحمودة فلهذا رأيت مناسباً كما قلتُ سابقاً

ان اعود ثانية الى البحث والتحقيق بامعان النظر والفكر في أركان الديانة الاسلامية وأساساتها ومصادرها واستعنت بالله عزّ وجلّ على هذا العمل المفيد . هذا ومع اعترافي بالعجز والتقصير الاّ اني بذلت الجهد المستطاع في البحث والتحقيق واتيت بنتيجة تحقيقاتي في هذا الكتاب ليتأمل فيها المطالع . والمأمول من كرم المولى ذي الجلال والاكرام ان يستفيد منه كل من طالعهُ بالانتباهِ والالتفات والتروي والتحري فيتأكد من معرفة مصادر الاسلام وأصل هذا النهر العظيم الذي فاضت مياههُ في كثير من الافاق وروت ميادين مذاهب البلاد الواسعة في انحاء الدنيا الشاسعة

(تنبيه)

العبارات التي استشهدنا بها من الكتب العديدة بلغات متنوعة ترجمناها الى اللغة العربية. غير اننا اوردناها في خاتمة هذا الكتاب بلغتها الاصلية بنصها وفصّها ليتيسَّر للمطالع المنصف الباحث عن الحق مطالعتها والتأمل في مبناها ومعناها . وحينئذٍ

يتضح له ان الترجمة هي في غاية الضبط منزهة عن الزيادة والنقصان . واذا كان لا يتيسَّر له المقابلة والمراجعة لعدم معرفته تلك اللغات فعليه ان يستعين بمن له المام ومعرفة بها للوقوف على معانيها . ويمتحن امانة المؤلف في نقله وترجمته ويتأكد من صحتها وحقيقتها وعلى الله التوفيق الى سوآء الطريق

الفصل الأوّل

فيما قاله المجتهدون الاعلام وعلماء الاسلام العظام
في حلّ هذا المعمَّى العظيم الاهمية

لا يخفى ان علمآء الاسلام ذهبوا الى ان المولى عزَّ وجل أنزل دينهم باجمعهِ على محمد فجعلوا بنيان وأساس الديانة الاسلامية على حقيقة رسالته ومن انكر نبوتهُ ورسالتهُ عدّوهُ كافراً لانهم يرون ان انكار ذلك بمنزلة وضع الفاس عند اصل شجرة دياتهم يعني بمنزلة استئصالها وملاشاتها . وزد على هذا انهم قرروا ان أربعة أركان الدين الصحيح هي (اولاً) القرآن المجيد و (ثانياً)

الحديث و (ثالثاً) الاجماع و (رابعاً) القياس.اما من جهة الركن الثالث والرابع فلا لزوم الى الكلام عليهما لانه يتضح جلياً انهُ لا يناسب ان يكونا مناقضين ومنافيين للقرآن والاحاديث فأساس الديانة الاسلامية في الحقيقة هو القرآن والأحاديث.ومن سوء الحظ لم يتفق المسلمون على الاحاديث الصحيحة فالاحاديث التي يعتبرها اهل السُّنة صحيحة تباين الاحاديث التي يتمسك بها الشيعة والوهابيون. ومن المعلوم ان الاحاديث المعتبرة عند الشيعة هي الواردة في هذهِ الكتب الخمسة وهي (١) الكافي لابي جعفر محمد الذي كان في سنة ٣٢٩ بعد الهجرة (٢) من لا يستحضرهُ الفقيه للشيخ علي في سنة ٣٨١ بعد الهجرة (٣) التهذيب للشيخ ابي جعفر محمد سنة ٤٦٦ هجرية (٤) الاستبصار للمؤلف ذاته (٥) نهج البلاغة للسيد الرضي سنة ٤٠٦ هجرية. غير ان أهل السُّنة لم يعوّلوا ولم يعتمدوا على هذه الكتب بل اعتمدوا على ستة كتب اخرى وهي (١) الموطأ لمالك بن أنس (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح مسلم (٤) سنن ابي داود سليمان (٥) الجامع للترمذي (٦) كتاب السنن لمحمد بن يزيد بن ماجة

القزويني ولكن أجمع علماء الاسلام على ان القرآن هو الوحي المتلو والاحاديث هي الوحي غير المتلو .ومن القواعد المقررة هو ان اذا خالف الحديث آية من آيات القرآن وجب رفضهُ وعدم التعويل عليه لانهم يعتبرون القرآن كلام الله غير ان فائدة الاحاديث هي بيان غوامض القرآن وتوضيح ما اشكل والتبس منهُ .مثلاً وردفي(سورة الاسرى١٧ الآية ١) قوله «سبحان الذي أسرى بعبدهِ ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى»الخ فيلزم لفهم هذهِ الآية مراجعة الاحاديث فانها توضح معنى المعراج وتشرحهُ كما هو معروف عند علماء الاسلام.وكذلك لولا الحديث لما فهم احد معنى ق وهو اسم احدى سور القرآن . فالاحاديث هي التي اوضحت ان المراد بالحرف ق اسم جبل قاف . ولهذا عزمنا بحوله تعالى طلباً للاختصار على ان لا نورد في هذا الكتاب شيئاً مختصاً بمصادر الاسلام من عقيدة اسلامية او تعليم الاّ ما كان له اصل وأساس في القرآن ذاتهِ ويكون ورد لهُ تفسير وشرح في الاحاديث المشهورة المتواترة بين كل المسلمين سواءٌ كانوا من أهل السنة او الشيعة. لان المقصود تعميم فوائد هذا

الكتاب بين عموم المسلمين قاطبة وتسهيل تداولهِ وتقريب تناولهِ بين الجميع من اهل السنة والشيعة . ولا يخفى ان علماء الاسلام ذهبوا الى ان القرآن هو كلام الله عز وجلّ الذي كتبهُ سبحانهُ وتعالى في اللوح المحفوظ قبل العالمين. ومع انه حصلت في خلافة المأمون و بعد خلافتهِ مشاحنات استحرَّ نارها واشتدَّ اوارها بخصوص قِدَم القرآن مما لا لزوم الى ذكر شيء هنا من هذهِ المسألة. الا ان من المجمع عليهِ عند المسلمين هو ان القرآن ليس هو تصنيف بشريٍ بل ان الله انزلهُ كلهُ على محمد بواسطة جبريل. وهم يتمسكون بعروة هذا الاعتقاد لغاية يومنا هذا. قال ابن خلدون تأييداً لهذا . ان القرآن أُنزل من السماء باللسان العربي على الاسلوب الذي كان مألوفاً عند العرب للإعراب عن أفكارهم وأنزل عليهِ (على محمد) باللفظ حسب مقتضيات الاحوال ببيان وحدانية الله وشرح الواجبات المفروضة على الانسان في هذه الدنيا . وعليهِ فهو يتضمن قواعد الدين وثانياً يتضمن ما فرضهُ على الانسان. (انظر ابن خلدون جزء١ صحيفة ٣٦٦) وقال في محل آخر ويدلك هذا كلهُ على انَّ القرآن من بين الكتب الالهية انَّما تلقَّاهُ نبينا

صلوات الله وسلامه عليهِ متلوًّا كما هو بكلماته وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فأنّ الانبياء يتلقونها في حال الوحي معاني ويعبّرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم . ولذلك لم يكن فيها إعجاز ولا شك ان ما ذهب اليهِ علماء الاسلام من ان القرآن أنزلهُ الله هو طبق ما ورد في (سورة البروج ٨٥ الآية ٢١ و ٢٢) فورد ما نصهُ « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » وكذلك ورد في (سورة الانعام ٦ الآية ١٩) « قل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأوحى اليّ هذا القرآن لانذركم بهِ » فالواضح من مثل هذه الآيات ان القرآن يدعي لنفسهِ انهُ ليس تصنيف محمد وليس مجموعاً من تآليف البشر بل هو كلام الله تعالى تماماً وكليةً نزل على محمد من السماء في ليلة القدر كما في (سورة القدر ٩٧ الآية ١) « إنا أنزلناهُ في ليلة القدر » فاذا قبلنا هذا الشرح والبيان وجب الاعتراف بان مصدر القرآن الوحيد واصل الدين الاسلامي هو الله عزَّ وجلَّ رب العالمين سبحانهُ وتعالى وليس له مصدر خلاف ذلك. ولكن اذا امكن بالبحث والتحقيق والتأمل والتدقيق اقامة الدليل الساطع الذي

يكون اوضح من الشمس في رابعة النهار ان اكثر القرآن واغلب عقائدهِ أُخذت بلا شك ولا شبهة من الأديان الاخرى ومن الكتب التي كانت موجودة في أيام محمد ولا تزال موجودة الآن فحينئذٍ يندكّ أساس الديانة الاسلامية دكًّا وتنهار دعائمها وتدرس معالمها. وبما ان بعض المعترضين اكدوا قطعياً انهُ في استطاعتهم اقامة الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة على ذلك لاق بل وجب على كل باحث على الحق والراغب في الفوز بالهدى ولا سيما على كل مسلم حقيقي ان يبحث بالدقة والعناية التامة في هذه القضية المهمة ليعرف اذا كان قول المعترضين هو صدق ام كذب. لأنهُ اذا استطاع دحض اعتراضهم وقهر اخصام دينهِ فحينئذٍ يثبت جليًّا صدق دين الاسلام ويثبت كونهُ من الله. وأي حرج على الانسان اذا عرف الصدق ووقف على الحق. وأي ضرر يحلّ بهِ اذا اطلع على الحقائق الصادقة واقوال اليقين الناطقة وميَّز بين الغث والسمين و بين الشين والسين . ولهذا السبب عزمنا بمعونة المولى العليم الحكيم على البحث في الاعتراضات وفي تحقيق دعاوي من ذهب الى ان كثيراً من تعاليم القرآن وعقائد الديانة الاسلامية

هي مأخوذة ومقتبسة من الأديان الاخرى ومن الكتب القديمة المتقدمة على القرآن

الفصل الثاني

في البحث والنظر فيما ذهب اليهِ القائلون من ان بعض عقائد المسلمين ورسومهم وفرائضهم هي مأخوذة من مذاهب العرب في ايام الجاهلية ورسومهم وان هذا هو اول مصادر الديانة الاسلامية

قال المعترضون بما ان محمداً كان عزم على انقاذ العرب وتحريرهم من عبادة الاصنام وهدايتهم الى عبادة الله تعالى وبما انهُ كان يعرف ايضاً انهم كانوا في زمن ابرهيم مؤمنين بوحدانيتهِ تعالى وبما انهم حافظوا على كثير من العادات والرسوم بطريق التوارث عن اباءهم الاتقياء لم يحملهم ويلزمهم على ترك جميعها بل بالحري بذل الجهد في اصلاح دياناتهم وابقاء كل عادة قديمة كان يرى موافقتها ومناسبتها. ولهذا ورد في (سورة النساء ٤ الآية ١٢٤) « وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ واُتَّبَعَ ملةَ ابرَهيمَ حنيفاً وَاُتخذَ اللهُ ابرَهيمَ خليلاً »
وكذلك ورد في (سورة آل عمران ٣ الآية ٨٩) « قُلْ صَدَقَ اللهُ
فاتَّبِعُوا ملَّةَ إِبرَهيمَ حنيفاً وَما كانَ منَ المُشْرِكين » وكذلك
ورد في (سورة الانعام ٦ الآية ١٦٢) « قُل انني هداني ربي الى
صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملةَ ابرهيم حنيفاً وما كانَ منَ المُشركين »
وبما ان محمداً ظن ان العرب حافظوا من عصر ابرهيم على جميع عاداتهم
ورسومهم ما خلا عبادة الأصنام والشرك وقتل البنات الأطفال
وما شاكل ذلك من العادات الذميمة الكريهة ابقى كثيراً من
هذه الرسوم والعادات الدينية والأَدبية في ديانتهِ وحافظ عليها
ومع ان بعض القبائل القاطنين في الجهات الواقعة في جنوب بلاد
العرب وشرقيها اختلطوا مع نسل حام بن نوح ولكن الواضح من
خمسة اسفار موسى ومن شهادة بن هشام والطبري وغيرهما ان
كثيرين من سكان جهات بلاد العرب الشمالية والغربية تناسلوا من
سام بن نوح وبعضهم تناسل من قحطان (يقطان) وبعضهم
تناسل من اولاد قطورة زوجة ابرهيم الثانية وتناسل البعض
الآخر ومنهم قبيلة قريش من اسماعيل بن ابرهيم ولا ينكر احد

ان جميع القبائل التي تناسلت من ذرية سام كان مذهبهم الاصلي وحدانية الله سبحانه وتعالى وتقديم العبادة لهُ . ومع تمادي الازمنة ومرور الاعصر اخذوا الشرك وعبادة الاصنام من قبائل ارض سورية وسكان الجهات المجاورة لهم وافسدوا ديانة اسلافهم وفسدوا هم انفسهم . ومع ذلك لما نست جميع الامم الاخرى ما عدا اليهود وحدانية الله كان سكان الجهات الشمالية والغربية من شبه جزيرة بلاد العرب متمسكين بعروةِ هذهِ العقيدة تمسكاً راسخاً والارجح انهُ كان اول دخول عبادةِ الشمس والقمر والكواكب بين سكان تلك الجهات في عصر ايوب كما يؤخذ من سفر هذا النبي (الاصحاح ٣١ والعدد ٢٦ — ٢٨) وقال هيرودتس وهو من اشهر مؤرخي اليونان وكان قبل التاريخ المسيحي بنحو ٤٠٠ سنة ان العرب سكان تلك الجهات والاطراف في تلك الايام كانوا يعبدون فقط معبودين (أُرُتال) (وألإلات) (تاريخ هيرودتس الكتاب الثالث والفصل الثامن) ولا شك ان مراد هذا المؤرخ من لفظته أُرتال احد المعبودين اللذين ذكرهما هو الله تعالى فان هذا هو اسمه الحقيقي ومع ان

هيرودتس سافر الى بلاد العرب الا انه كان رجلاً اجنبياً غريباً فلم يتيسر له ضبط هذا الاسم فحرّفه لجهلهِ اللغة العربية ولعدم معرفته هجاءها والنطق بها . ومن الادلة القوية الدالة على ان هذه التسمية الخصوصية المذكورة (اي الله تعالى) كانت مشهورة ومنتشرة بين العرب قبل زمن محمد هو انه كثيراً ما ذكر اسم الله في سبع معلقات العرب (وهي تأليف مشاهير شعراء العرب الذين كانوا قبل مولد محمد او اقل ما يكون كانوا قبل بعثتهِ) فورد في ديوان النابغة ما نصه

لهم شيمة لم يُعطها الله غيرهم ... من الجود والاحلام غير موازبِ
محلتهم ذات الالهِ ودينهم ... قويم فما يرجون غير العواقبِ

وايضاً

ألم ترَ ان الله اعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذبُ
بانك شمس والملوك كواكب ... اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

وايضاً

ونحن لديهِ نسأل الله خلدهُ ... يردُّ لنا ملكاً وللارض عامراً
ونحن نرجي الخلد ان فاز قدحنا ... ونرهب قدح الموت ان جاء قاهراً

وقال لبيد في ديوانهِ

لعمركَ ماتدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

و بصرف النظر عن ذلك انهُ لامر مشهور ان الكعبة من قديم الأَيام كانت اقدس مسجد عند جميع قبائل العرب . قال ديودورس السيكيلي احد مؤرخي اليونان وكان قبل التاريخ المسيحي بنحو ٦٠ سنة ان الكعبة كانت معتبرة في ذلك الوقت عند العرب مسجداً مقدساً (انظر تاريخ ديودورس السيكيلي الكتاب الثالث) وكان يطلق على هذا المقدس بيت الله ويستدل من دخول اداة التعريف على لفظ الجلالة ان العرب لم ينسوا عقيدة وحدانية الله وان كان عندهم كثيراً من المعبودات حتى اطلق عليهم القرآن بسببها لفظة (المشركين) لأنهم أشركوا مع الله غيرهُ من المعبودات وعبدوها وظنوا انها شريكة معهُ في الاكرام والعبادة الواجبة لهُ تعالى ولكنهم كانوا يقولون لا نعبد هـذه المعبودات الثانوية كما نعبد الله الحي الذي هو الله تعالى بل بالعكس اننا نعتبرهم شفعاء ولنا الرجاء ان بشفاعتهم نستميل الله الحقيقي لاجابة طلباتنا وقال (الشهرستاني صحيفة

١٠٩ العرب كانوا يقولون الشفيع والوسيلة منا الى اللهِ تعالى هم الاصنام المنصوبة فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل) ومن الأدلة على ان هؤلآء عبدة الأصنام كانوا يعتقدون بهذا الاعتقاد هو ما ذكر في الكتاب المسمى المواهب اللدنية ونصهُ

قدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ عليه السلام (سورة النجم ٥٣ الآية ١٩ و ٢٠) « والنَّجْمِ إِذَا هوَى » حتى بلغ « أفرأيْتُمْ اللاّتَ وَالعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالثةَ الأُخْرَى » التى الشيطان في أمنيتهِ (أي تلاوتهِ) تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهنّ لترتجى فلما ختم السورة سجد صلعم وسجد معهُ المشركون لتوهمهم انهُ ذكر الهتهم بخير وفشى ذلك بالناس واظهرهُ الشيطانُ حتى بلغ ارض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بنُ مظعون وأصحابهِ وتحدّثوا ان اهل مكة قد اسلموا كلهم وصلوا معهُ (صلعم) وقد أمن المسلمون بمكة فاقبلوا سراعاً من الحبشة

وذكر ابن اسحق وابن هشام والطبري وكثيرون غيرهم من مؤرخي الاسلام هذهِ الحكاية ايضاً وأيدها يحيي وجلال الدين والبيضاوي في تفاسيرهم على سورة الحج ٣٢ الآية ٥١ « وما

أرسلنا من قبلكَ من رسول ولا نَبِيّ الاّ اذا تمنّى القى الشيطان في أمنيتهِ فينسخ الله ما يلقي الشيطان » وقال الشهرستاني بخصوص مذاهب قدماء العرب ورسومهم وعاداتهم ما نصهُ

والعرب الجاهلية اصناف فصنف انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني كما اخبرَ عنهم التنزيل وقالوا ما هي الاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وقوله في (سورة الجاثية ٤٥ الآية ٢٣) « ومايهلكنا الاّ الدهر » وصنف اعترفوا بالخالق وانكروا البعث وهم الذين أخبر الله عنهم بقولهِ تعالى في (سورة ق ٥٠ الآية ١٤) « أَفَعَيِينَا بِالخَلْقِ الأَوّل بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ » . وصنف عبدوا الأصنام وكانت أصنامهم مختصة بالقبائل فكان ود لكلب وهو يدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمذان واللات لثقيف بالطائف والعزى لقريش وبني كنانةِ ومناة للأوس والخزرج وهبل اعظم أصنامهم . وكان هبل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلي على الصفّاء والمروة . وكان منهم من يميل الى اليهود ومنهم من يميل الى النصرانية ومنهم من يميل

الى الصابية و يعتقد في انواء المنازل اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك الا بنوءٍ من الأنواء ويقول مطرنا بنوء كذا . وكان منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن وكانت علومهم علم الانساب والانواء والتواريخ وتعبير الرؤيا وكان لأبي بكر الصديق رضي الله عنهُ فيها اليد الطولى وكانت الجاهلية تفعل اشياء جاءت شريعة الاسلام بها فكانوا لا ينكحون الامهات والبنات وكان اقبح شيءٍ عندهم الجمع بين الاختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونهُ الضيزن وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرّمون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار وكانوا يكبسون في كل ثلاثة اعوام شهراً ويغتسلون من الجنابة وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى (من كتاب الملل والنحل للشهرستاني)

قال ابن اسحق وابن هشام بناء على هذا القول ان ذرية اسمعيل كانوا اولاً يعبدون الله الواحد ولا يشركون معهُ

أحداً ثم سقطوا في عبادة الاصنام. ومع ذلك حافظوا على كثير من العادات والرسوم التي كانت في ايام ابرهيم فلم ينسوا ان الله تعالى كان أرفع من معبوداتهم بل انهُ تعالى هو الحاكم والمسلط عليها جميعاً وذكر في سيرة الرسول

خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليهِ واستبدلوا بدين ابرهيم واسمعيل غيرهُ فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليهِ الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابرهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف بهِ والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدي البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيهِ ما ليس منهُ فكانت كنانة وقريش اذا اهلوا قالوا لبيّك اللّهم لبيّك لبيك لا شريك لك الاّ شريك هو لك تملكهُ وما ملك فيوحدونهُ بالتلبية ثم يدخلون معهُ اصنامهم ويجعلون ملكها بيدهِ وذكر في القرآن قولهُ « إنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الذي خلَقَ السمَوَاتِ والأَرْضَ فِي ستَّةِ أيَّامٍ ثمَّ ٱستَوَى على العرْش يُدَبِّرُ الأَمْرَمَا مِنْ شفيعٍ إلاّ مِنْ بَعدِ إذْنهِ ذَلِكُمُ اللّه رَبكُمُ فاْعبُدُوهُ أفَلاَ تَذَكَّرُون » (سورة يونس ١٠

الآية٣) فالواضح من هذا ان في ايام الجاهلية كان العرب يعبدون الله سبحانهُ وتعالى بشفاعة العزى ومناةَ واللاتَ (كما يطلب المسلمون في الوقت الحاضر غفران الخطايا من الله عزَّ وجلَّ بشفاعة الأَولياء) وحينئذٍ يصدق على العرب الوثنيين لا مسلمي هذا الزمان قول القرآن انهم مشركون. فينتج من ذلك ان سكان بلاد العرب حافظوا على عبادة الله تعالى الى عصر محمد واعترفوا بوحدانية القدوس . وبناءً على ذلك يقول المعترضون ان محمداً أخذ هذهِ العقيدة من قومهِ وتعلمها من جدوده واسلافهِ لانهُ يتضح من اسم والدهِ (عبدالله) واسم ابن أَخيهِ (عبيدالله) الوارد فيهما لفظ الجلالة باداة التعريف التي هي دلالة على وحدانيتهِ تعالى ان هذهِ العقيدة الشريفة كانت معروفة قبل بعثة محمد وان الديانة الاسلاميـة أخذت عادات الطواف والاهلال والاحرام وغيرها كثيراً من ديانة هذه القبائل القديمة وكان الختان من هذهِ العادات كما قال الشهرستاني. ويتضح من نبذة صغيرة تسمى رسالة برنباس[1] بان الختان لم يكن عند العرب

(١) انظر الملحق نمرة ١

فقط من قديم الزمان بل كان مرعياً عند امم كثيرة ايضاً فان مؤلف هذه الرسالة (التي كتبت نحو ٢٠٠ سنة بعد التاريخ المسيحي) قال بعبارة صريحة« ان كل سوري وعربي وجميع كهنة الاصنام يختتنون » ولا يخفى ان الختان كان مرعياً عند قدماء المصريين ايضاً . ومع ان العرب كانوا يعبدون اصناماً كثيرة في ايام محمد حتى كان يوجد في الكعبة ٣٦٠ تمثالاً الاّ ان ابن اسحق وابن هشام قالا ان عمراً بن لحى وهذيل بن مدركة أتيا بعبادة الأَصنام الى مكة من سورية فقط خمسة عشر جيلاً قبل عصر محمد . وعلى كل حال فلا يحتاج أحد الى وحي والهام لمعرفة قباحة و بطلان هذه العادة الكريهة غير ان تقبيل الحجر الأسود الذي كان يعبدهُ قدماء الوثنيين بهذه الكيفية لاعتقادهم انهُ من حجارة الجنة كان من العادات المستحبة جدًّا عند العرب بحيث لم يتمكن محمد من منعهم عن مزاولتها وهذا هو سبب تقبيل الحجاج هذا الحجر لغاية هذا اليوم

وحاصل الكلام هو ان مصدر الديانة الاسلامية الاول كان تلك الرسوم الدينية والعادات والمذاهب الاعتقادية التي كانت

متداولة ومتسلطة في ايام محمد بين قبائل العرب ولاسيما قريش

قال المؤلف ولم اعرف وجهاً ولا جواباً به يدحض المسلمون اقوال المعترضين هذه اللهم الاّ انهم يقولون ان هذه الرسوم والعادات انزلها الله اولاً على ابرهيم ثم أمر محمداً ان يبلغها للناس ثانية ليتمسكوا بها تمسكاً راسخا . ومع انهُ تبرهن من خمسة اسفار موسى ان الاعتقاد بوحدانية الله سبحانهُ وتعالى ورسم الختان كانا من اركان ديانة ابرهيم الاّ انهُ لم يرد في التوراة والانجيل ذكر لمكة ولا للكعبة ولا للطواف ولا للحجر الاسود ولا للاحرام . ولا شك ان العادات المرتبطة والمتعلقة بهذهِ الاشياء هي اختراعات عبدة الاصنام ولم يكن ولن يكون لها ادنى ارتباط ولا علاقة بدين ابرهيم

قال المعترضون وبصرف النظر عن كل هذا فان بعض آيات القرآن مقتبسة من القصائد التي كانت منتشرة ومتداولة بين قريش قبل بعثة محمد واوردوا بعض قصائد منسوبة الى امرءِ القيس مطبوعة في الكتب باسمهِ لتأييد قولهم هذا . ولا شك انهُ ورد في هذهِ القصائد بعض أبيات تشبه بل هي عين

آيات القرآن على حد سواء او تختلف عنها في لفظة او لفظتين ولكنها لا تختلف عنها في المعنى مطلقاً وهاك الأبيات التي يوردها المعترضون وقد اشرنا على العبارات التي اقتبسها القرآن بوضع علامة تحتها كهذه ــ

دنت الساعة وانشق القمر ‏ ‏ ‏ عن غزال صاد قلبي ونفر
احور قد حرت في أوصافهِ ‏ ‏ ‏ ناعس الطرف بعينيهِ حور
مرَّ يومَ العيد في زينتهِ ‏ ‏ ‏ فَرَماني فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظٍ فاتك ‏ ‏ ‏ فتركني كهشيم المحتظر
واذا ما غابَ عني ساعة ‏ ‏ ‏ كانت الساعة أدهى وأمر
كتب الحسن على وجنتهِ ‏ ‏ ‏ بسحيق المسك سطراً مختصر
عادة الاقمار يسرى في الدجى ‏ ‏ ‏ فرأيت الليل يسري بالقمر
بالضحى والليل من طرتهِ ‏ ‏ ‏ فرقهُ ذا النور كم شيء زَهر
قلتُ إذْ شق العذارُ خدَّهُ ‏ ‏ ‏ دنت الساعة وانشق القمر

وله أيضاً

أقبل والعشاق من خلفهِ ‏ ‏ ‏ كانهم من حدب ينسلون
وجاء يوم العيد في زينتهِ ‏ ‏ ‏ لمثل ذا فليعمل العاملون

واتضح كما ذكر المؤرخون بانهُ جرت العادة سابقاً بين العرب بانهُ اذا نبغَ بينهم رجل فصيح بليغ وألَّفَ قصيدة بديعة غراء علقها على الكعبة وان هذا هو سبب تسمية المعلقات السبع بهذا الاسم اي لانها علقت على الكعبة غير ان بعض المحققين الذين يركن على قولهم انكروا كون هذا هو سبب واصل التسمية غير ان هذا قليل الأَهمية *

* (تنبيه) قال المفسر الشهير ابو جعفر احمد بن اسماعيل النحاس الذي توفي في سنة ٣٣٨ هجرية على هذا الصدد

واختلفوا في جامع هذه القصائد السبع وقيل ان العرب كان اكثرها يجتمع بعكاظ ويتناشدون الشعر فاذا استحسن الملك قصيدةً قال علقوها واثبتوها في خزانتي . فاما قول من قال علقت في الكعبة فلا يعرفهُ أحد من الرواة . وأصح ما قيل في هذا ان حمادًا الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر جمع هذهِ السبع وحضهم عليها وقال لهم هذهِ هي المشهورات فسميت القصائد المشهورة لهذا

وقس على ذلك ما قالهُ السيوطي غير انهُ أشار ايضًا الى رواية تعليق الاشعار في الكعبة قائلاً بجواز صحة هذه القصَّة (الجزء الثاني من كتاب مذكر صحيفة ٢٤٠)

ومن الحكايات المتداولة في عصرنا الحاضر انهُ لما كانت فاطمة بنت محمد تتلو هذه الآية وهي « إقتربت الساعة وانشقَّ القمر » سمعتها بنت امرء القيس وقالت لها ان هذه هي قطعة من قصائد أبي أخذها والدك وادعى ان الله أنزلها عليهِ. ومع انهُ يمكن ان تكون هذهِ الرواية كاذبة لان امرء القيس توفي سنة ٥٤٠ من التاريخ المسيحي ولم يولد محمد الاّ في سنة الفيل اي سنة ٥٧٠ مسيحية الاّ انهُ لا ينكر ان الأبيات المذكورة الموضوع تحتها علامـة هي واردة في (سورة القمر ٥٤ الآية ١ و٢٦ و٢٩) وفي (سورة الضحى ٩٣ الآية ١) وفي (سورة الأنبياء ٢١ الآية ٩٦) وفي (سورة الصافات ٣٧ الآية ٥٩) غاية الامر انهُ يوجد اختلاف طفيف في اللفظ وليس في المعنى. مثلاً ورد في القرآن اقتربت اما في القصيدة فورد دنت عوضاً عن اقتربت. فمن البين الواضح انهُ يوجد مناسبة ومشابهة بين هذهِ الأبيات وبين تلك الآيات الواردة في القرآن. فاذا ثبت ان هذه الأَبيات هي لامرء القيس حقيقةً فحينئذٍ يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها في القرآن لانهُ يتعذر على الانسان

ان يصدق ان ابيات شاعر وثني كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل انشاء العالم . قال مؤلف هذهِ الصحيفات انني لا ارى مخرجاً ومنفذاً لعلماء الاسلام من هذا الاشكال الاّ بان يقيموا الدليل والبرهان على ان هذه الآيات هي مأخوذة ومقتبسة من القرآن وانها ليست من نظم امرء القيس الذي توفي قبل مولد محمد بثلاثين سنة . ولكن يصعب علينا ان نصدق بان ناظم هذهِ القصائد بلغَ الى هـذا الحد من التهتك والاستخفاف والجراءة في أي زمن من الأَزمان بعد تأسيس مملكة الاسلام التي كانت متسعة الاطراف والاكناف حتى يقتبس آيات من القرآن ويستعملها بهذهِ الكيفيـة (في مثل هذا الموضوع) كالكيفية المستعملة في هذهِ القصائد غير ان المعترضين والمنتقدين لا يرتكنون ولا يعولون باي وجه كان على صحة هذهِ الأبيات لتأييد ما ذهبوا اليه من انهُ قد كانت عادات العرب القديمة ورسومهم وعقائدهم الدينية من اهم مصادر الاسلام لان ما ذكرناهُ قبل هذا كافٍ وحدهُ عندهم في تأييد هذهِ القضية

الفصل الثالث

في البحث فيما ذهب اليهِ بعض المعترضين من ان بعض التعاليم والقصص الواردة في القرآن أو في الاحاديث هي مأخوذة من تفاسير اليهود الوهمية وان بعض فرائض المسلمين الدينية هي مأخوذة من طريقة الصابيين

لما شرع محمد في ادعاء النبوّة وبذل كل ما في وسعهِ وامكانهِ من المساعي لتنقية وانقاذ قومهِ من عبادة الأصنام وارجاعهم الى دين ابرهيم لم يكن عند العرب كتاب وحي الهي يعوّل عليهُ جميع قبائل العرب قاطبةً بلا استثناء أو يتخذونهُ قانوناً ودستوراً لهم . فلهذا السبب كان يصعب جدّاً اصلاح ما فسد واختل من دياناتهم فكان رأب هذا الصدع في غاية الصعوبة . ومع ذلك فكان يوجد بينهم في تلك الأيام ثلاث طوائف كان متداولاً بينهم كتب دينية . فقال المعترضون قد كان لكل طائفة من هذه الطوائف نفوذ وشأن على الديانة الاسلامية التي كانت في ذلك العصر شبيهة بطفل مولود جديد ملفوف

بالاقطاة . اما هذه الطوائف التي أشرنا اليها فهي ملة الصابيين واسباط اليهود والنصارى وسنتكلم على كل واحدة منها في مكانهِ .اما من جهة الصابيين الذين لم يبقَ أثر لديانتهم فقال أبو الفدآء في كتابهِ المسمى التواريخ القديمة من المختصر في اخبار البشر ما نصهُ

ذكر امة السريان والصابيين من كتاب ابي عيسى المغربي

قال امة السريان هي اقدم الامم وكان كلام آدم وبنيهِ بالسرياني وملتهم هي ملة الصابيين ويذكرون انهم اخذوا دينهم عن شيث وادريس ولهمْ كتاب يعزونهُ الى شيث ويسمونهُ صحف شيث يذكر فيهِ محاسن الاخلاق مثل الصدق والشجاعة والتعصب للغريب وما أشبه ذلك ويأمر بهِ ويذكر الرذائل ويأمر باجتنابها . وللصابيين عبادات منها سبع صلوات منهنّ خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلوة الضحى والسابعة صلوة يكون وقتها في تمام الساعة السادسة من الليل وصواتهم كصلوة المسلمين من النية وان لا يخلطها المصلّي بشيء من غيرها ولهم الصلوة على الميت بلا ركوع ولا سجود

ويصومون ثلاثين يوماً وان نقص الشهر الهلالي صاموا تسعاً وعشرين يوماً. وكانوا يراعون في صومهم الفطر والهلال بحيث يكون الفطر وقد دخلت الشمس الحمل ويصومون من ربع الليل الاخير الى غروب قرص الشمس . ولهم اعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت اشرافها والخمسة المتحيرة زحل والمشترى والمرّيخ والزهرة وعطارد . ويعظمون بيت مكة . فيتضح جلياً من هذا النص الصريح ان المسلمين اخذوا من قدماء الصابيين الصيام والخمس صلوات وغيرها من الفرائض المفروضة عليهم

اما من جهة اليهود فلا يخفى على كل أديب المعي ومهذب لوذعي انهُ كانت لهم في عصر محمد ولا سيما قبل الهجرة سطوة عظيمة وشوكة جسيمة في بلاد العرب وكانوا أيضاً كثيري العدد . ومن أشد القبائل اليهودية بأساً وأعظمهم شأناً بنو قريظة وبنو قيوقاع وبنو نظير . ولما اتضح انهم مصممون على عدم الاعتراف بنبوّة محمد ورسالتهِ انتشبت بينهم وبين المسلمين مكافحات وبكل صعوبة ومشقة قدر المسلمون ان يغلبوهم بقتلهم

او طردهم من بلاد العرب . ومع ان اولئك اليهود لم يكونوا مشهورين بالمعارف الاّ انهم حافظوا بغاية الحرص الشديد على كتب انبيائهم كمثل خمسة اسفار موسى وزبور داود وغيرها. ولهذا السبب قيل بخصوصهم وبخصوص النصارى ايضاً في القرآن انهم هم اهل الكتاب . ومع انهُ كان كثيرون منهم لا يعرفون اللغة العبرية حق المعرفة الاّ انهم نقلوا كاليهود القاطنين في القطر المصري وغيره بطريق التواتر كثيراً من القصص والروايات الموجودة في التلمود وغيرها من الخرافات الباطلة. وكثيراً ما كانوا يكررون تلك الروايات العاطلة التي لا اصل لها عوضاً عن ذكر تعاليم الوحي الالهي المدونة في الكتب السماوية. وما ذلك الاّ لعدم فهمهم شريعة موسى وسائر الكتب الربانية. وكانت العرب في ايام الجاهلية يراعون مقام اليهود ويعتبرونهم لأنهم كانوا متأكدين من انهم كانوا بلا شك ولا ريب ذرية ابرهيم خليل الله وانهم كانوا لا يزالون حفظة كلمة الله . قال المعترضون وبناءً على ذلك لما رأى محمد ان عبادة الأصنام ليست مناسبة بل بالعكس كانت مكروهة امام الله الوحيد

سبحانهُ وتعالى وبما أنهُ عزم في قلبهِ ونوى على ارجاع قومهِ
الى دين ابرهيم الخليل فالأرجح انهُ وجَّه انظارهُ الى اليهود
للاستفادة منهم فاستفهم منهم عن عقائد دين ابرهيم وفرائضهِ
ورسومهِ. واذا قارنَّا بين التعاليم والاخبار الواردة في القرآن
والأحاديث وبين التعاليم والقصص والحكايات التي كانت
متداولة بين اليهود في تلك الاعصر اتضح لنا جليًّا انهُ يوجد
بينها علاقة وارتباط ومشابهة عجيبة. وما يؤيد ان محمداً تعلَّم من
من اليهود وأخذ عنهم كل ما امكنهم ان يفيدوهُ عن دين
ابرهيم هو ورود آيات كثيرة في القرآن نصٌّ فيها صريحاً بان
دين ابرهيم كان حقاً. وزد على ذلك انهُ شهد ان الله هو الذي
أنزل كتب اليهود الموحى بها وانهُ عندهم الديانة الحقيقة. مثلاً
ورد في (سورة العنكبوت ٣٩ الآية ٤٥) ما نصهُ « ولا
تُجادلوا اهلَ الكتابِ إلاّ بالتي هيَ أَحسنُ إلاّ الّذين ظَلموا
منهمْ وَقولوا آمنَّا بالّذي أُنزلَ إلينا وَأُنزلَ إليكم والهنا والهكم
واحدٌ ونحن لهُ مسلمون » وكذلك ورد في « سورة البقرة
٢ الآية ١٣٠ » ما نصهُ « قولوا آمنا باللهِ وما أُنزلَ إلينا وما

أُنزلَ الى ابرهيمَ واسمعيلَ واسحقَ ويعقوبَ والأَسباطِ وما أُوتيَ موسى وعيسى وما أُوتيَ النبيون من ربهم لا نفرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحنُ لهُ مسلمون » وبناءً على اقتناع وتأكد محمد من صحة هذا الاعتقاد جعل بيت المقدس اي القدس في مبدإِ الامر قبلة للمسلمين لان هذه المدينة كانت لا تزال قبلة اليهود

غير ان البعض فنَّد ودحض ما قيل من ان محمداً اخذ من اليهود التعاليم والقصص الواردة في القرآن التي تشبه غاية المشابهة التعاليم والقصص الواردة في التلمود وفي كتب اليهود الاخرى بقولهِ ان محمداً تسمى في «سورة الاعراف ٧ الآية ١٥٦» (بالنبيّ الاميّ) لعدم معرفتهِ القراءة والكتابة . وبناءً على ذلك قالوا من الواضح البين انهُ اذا كان لا يعرف ان يقرأ كُتُب اليهود فكيف كان يتيسر لهُ ان ينتحل منها تعاليمهُ ولكن نردُّ على ذلك قائلين ان سبب تسميتهِ بالامي هو انهُ لم ينبغ بين اليهود بل نبغ بين الامم لانهُ جرت عادة اليهود ان يطلقوا لفظة الامم على كل من لم يكن يهودياً من الشعوب والملل كما ان العرب يطلقون لفظة العجم ليس على الفارسي فقط بل على كل من لم يكن عربياً ما عدا

بلاد العرب وسكانها. ومعنى لفظة (عجمي) في الاصل هو من ليس ذلق اللسان وفصيح المنطق . ولكن اذا رأينا في بعض الكتب العربية ان حافظاً الشيرازي كان رجلاً عجمياً فليس المراد انهُ كان رجلاً مجرداً من الفصاحة بل المراد بلفظة عجمي انهُ لم يكن من العرب . واذ تقرر ذلك نقول انهُ لا يستدل من الآية المستشهد بها على ان محمداً كان امياً . نعم كان يطلق عليهِ انهُ نبي أمي غير ان المراد بذلك انهُ كان نبي من الامم ولكن اذا فرضنا انهُ كان لا يعرف القراءة ولا الكتابة فهل كان يبعد عليهِ ان يستفهم من غيرهِ ويقف على تعاليم اليهود وعقائدهم واوهامهم لا جرم ان ذلك كان متيسراً لهُ ولا سيما ان بعض الصحابة كعبيد الله بن سلام وحبيب بن ملك وورقه كانوا ذواتهم من اليهود أو انهم كانوا يدينون بدين اليهود اولاً ثم آمنوا بمحمد . ومع انهُ لم يكن لهم المام تام بحقائق تعاليم العهد القديم الصحيحة الا انهم كانوا يعرفون أقل ما يكون بعض الروايات الباطلة والقصص والحكايات التي كانت متداولة في تلك الايام بين اليهود وبلغت مبلغ التواتر . واذا قارنا بين القرآن وبين تلك

القصص المدونة في التلمود وفي غيرهِ من الكتب المشحونة بالاوهام التي لا تزال متداولة بين اليهود اتضح لنا انها كانت مستعارة من خرافات اليهود الفارغة . نعم لا ينكر انهُ كثيراً ما ورد في القرآن اخبارٌ عن سيرة ابرهيم وغيره من الافاضل اكثر مما ورد في خمسة اسفار موسى. ولكن قد اورد المزيفون للاسلام هذه القصص الآتية التي أيَّدوا بها ما ذهبوا اليهِ من ان القرآن اتخذ قصصهُ وحكاياتهِ من خرافات اليهود الفارغة . ومما اورد معترضو الاسلام من القصص المؤيدة قولهم هذا ما يأتي

(١) قصة قابيل وهابيل . لا يخفى ان القرآن لم يذكر صريحاً اسمي ابني آدم ولكنهُ اورد قصتهما في « سورة المائدة ٥ الآية ٣٠ ــ ٣٥ » ونصها « واُتلُ عليهم نبأ اُبني آدمَ بالحقّ اذ قرَّبا قُرباناً فتُقُبِّلَ من أَحدِهما ولم يُتقبَّل من الآخر قال لأَقتلنَّكَ قال انما يَتقبل اللّهُ من المتقين لَئن بَسطتَ اليَّ يدك لتقتلني ما انا بباسط يدِي اليك لأَقتلكَ اني أخاف اللّه ربَّ العالمين اني أُريدُ ان تبوءَ بإثمي واثمكَ فتكون من اصحابِ النارِ وذلك جزاء الظالمين فطوّعت لهُ نفسهُ قتل أخيهِ فقتله

فأصبحَ من الخاسرين فبعث الله غُراباً يبحثُ في الارض لِيريَهُ كيف يواري سوأَة اخيهِ قال يا ويلتي أَعجزتُ أن اكون مثل هذا الغراب فأواري سوأَة اخي فأصبحَ من النادمينَ من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنهُ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » وليكن معلوماً ان اليهود رووا روايات مختلفة بطرق شتى عما دار بين قاين وهابيل من هذه المحاورة الوهمية فورد في ترجوم يوناثان بن عزّية وفي (الترجوم المسمى بيروشلمي) ان قاين وهو المسمى في الكتب العربية قابيل قال لا عقاب ولا حساب على الخطية ولا ثواب ولا مجازاة على الصلاح . غير ان هابيل اعترف بوجود عقاب وثواب فلذلك ضرب قاين اخاه بحجر وقتلهُ . وورد في الكتاب المسمى (فِرْقَى ربّي اليعذر [1]) في الفصل ٢١ مصدر ما ورد في القرآن بخصوص دفن جثة هابيل ولا فرق بين ما ورد في هذا الكتاب و بين ما ورد في القرآن الاّ في مسألة الغراب المذكور في القرآن . فذكر في الرواية اليهودية

(١) انظر الملحق (نمرة ٢)

ان الغراب الموري علّم آدم ولم يعلِّم قايبل وهاك نص الرواية اليهودية

ان آدم ومعينتهُ (اى حواء) كانا جالسين يبكيان ويندبان عليهِ (اي على هابيل) ولم يعرفا ماذا يفعلان بهابيل لانهما لم يعرفا الدفن فاتى غرابٌ وكان احد اصحابه مات واخذهُ (اي صاحبهُ) وحفر في الارض ودفنهُ امام اعينهما فقال آدم سافعل كما فعل هذا الغراب فاخذ عن يد جثة هابيل وحفر في الارض ودفنها . انتهى

اما ما ذكر في الآية ٣٥ من السورة المذكورة فلا علاقة بينهُ وبين ما ذكر في الآيات المتقدمة ولكن اذا وجهنا انظارنا والتفاتنا الى كتاب (مشناه سنهدرين[1]) في الفصل الرابع والفقرة الخامسة رأينا هذه القصة مذكورة بالتمام والتفصيل الكافي وهي في القرآن ناقصة غير مستوفية . وهكذا تتضح المناسبة بين الآية المذكورة اعلاهُ وبين قصة قتل هابيل لان المفسر اليهودي قال في تفسيرهِ الذي علقهُ على قول الله تعالى لقايين الوارد في

(١) انظر الملحق (نمرة ٣)

«سفر التكوين الاصحاح ٤ الآية ١٠» وهو (ماذا فعلتَ صوتُ دمِ أخيكَ صارخٌ اليَّ من الارض) (وكلمة دم الواردة في هذه الآية هي بصيغة الجمع في العبري) مانصهُ قد وجدنا قايين الذي قتل اخاهُ انهُ قيل عنهُ «صوت دماء اخيك صارخ اليَّ» فلم يقل دم اخيك بل دماء اخيك يعني دمهُ ودم ذريتهِ ولهذا السبب خُلقَ آدم وحدهُ ليعلمك ان كل من اهلك نفساً من اسرائيل فالكتاب يعدهُ كانهُ اهلك العالم جميعاً وكل من أحيى نفساً من اسرائيل فالكتاب يعدهُ كأنهُ احيى العالم جميعاً واعلم ان الآية ٣٥ من سورة المائدة تُرجمت تقريباً حرفياً من اقوال هذا المفسر اليهودي القديم. ولكن بما ان القرآن اخذ نصف هذه الفقرة فقط اي شطراً منها فيلزم لفهم معناها الرجوع الى اصل هذه الآية القرآنية كما فصلّنا واَمطنا اللثام عنها فظهر المعنى بوضوح

(٢) قصة انقاذ ابرهيم من نار نمروذ. ان هذه القصة لم تذكر في القرآن في محل واحد بل ذكرت مفرقة مشتتة في محالّ كثيرة فذكرت في «سورة البقرة ٢ الآية ٢٦٠» وفي «سورة الانعام ٦ الآية ٧٤ ـ ٨٤» وفي «سورة الانبياء ٢١ الآية

٥٢ ـ ٧٢ » وفي « سورة مريم ١٩ الآية ٤٢ ـ ٥٠ » وفي « سورة الشعراء ٢٦ الآية ٦٩ ـ ٧٩ » وفي « سورة العنكبوت ٢٩ الآية ١٥ و١٦ » وفي « سورة الصافات ٣٧ الآية ٨١ ـ ٩٥ » وفي « سورة الزخرف ٤٣ الآية ٢٥ ـ ٢٧ » وفي « سورة الممتحنة ٦٠ الآية ٤ » وفي غيرها ولكن من نظر في اوائل كتاب قصص الانبياء او كتاب عرائس المجالس وطالع قصة ابرهيم في هذين الكتابين او في غيرهما مما يشاكلهما ويماثلهما يجد من اول وهلة ان جميع هذه القصة الواردة في القرآن او في الاحاديث هي مأخوذة من احد كتب اليهود القديمة المسمى (مِدراش ربّاه) . ويلزم لاقامة البرهان على صحة ذلك ان نورد اولاً هذه القصة بنصها كما وردت في القرآن وعرائس المجالس وغيره ثم نوردها بنصها من الكتاب اليهودي المذكور اعلاه ثم نقارن هاتين الروايتين الواحدة بالاخرى فينجلي الحق لذي عينين فنقول

قال ابو الفداء في كتابهِ المسمى التواريخ القديمة من المختصر في اخبار البشر ما نصهُ

كان آزر ابو ابرهيم يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها

فكان ابرهيم يقول من يشتري مايضرهُ ولاينفعهُ ثم لما امر الله تعالى ابرهيم ان يدعو قومهُ الى التوحيد دعا اباهُ فلم يجبه ودعا قومهُ فلما فشا امرهُ واتصل بنمروذ بن كوش وهو ملك تلك البلاد ..... فاخذ نمروذ ابرهيم الخليل ورماهُ في نار عظيمة فكانت النار عليهِ برداً وسلاماً وخرج ابرهيم من النار بعد ايام ثم آمن بهِ رجال من قومهِ

وورد في عرائس المجالس لما خرج ابرهيم قبل ذلك من المغارة في الليل رأى الكواكب قبل ان رأى القمر فقال هذا ربي ثم ساق الكلام كما يأتي

فلما جنّ عليهِ الليلُ رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل قال لا احبُّ الآفلين فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي فلما أفل قال لَئن لم يهدني ربي لاكوننّ من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر (لانهُ رأى ضوءها اعظم) فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والارضَ حنيفًا وما انا من المشركين « سورة الانعام ٦ الآية ٧٦ ـ ٧٩ »

قالوا وكان ابوهُ يصنع الاصنام فلما ضم ابرهيم الى نفسهِ جعل

يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها فيذهب بها ابرهيم عليهِ السلامِ فينادي من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري احد منهُ . فاذا بارت عليهِ ذهب بها الى نهر فضرب رؤوسها وقال لها اشربي كسدتي استهزاءً بقومهِ وبما هم عليهِ من الضلالة والجهالة حتى فشا عيبهُ اياها واستهزاؤهُ بها في قومهِ واهل قريتهِ فحاجّهُ قومهُ في دينهِ فقال لهم أتحاجّوني في الله وقد هداني الآيات الى قولهِ عز وجل وتلك حجتنا أتيناها ابرهيم على قومهِ نرفعُ درجاتٍ من نشاء ان ربك حكيم عليم «سورة الانعام ٦ الآية ٨٠ — ٨٣» حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليهِ السلام دعا اباه آزر الى دينهِ فقال يا ابتِ لِمَ تعبدُ ما لا يسمع ولا يبصرُ ولا يُغني عنكَ شيئاً «سورة مريم ١٩ الآية ٤٣» الى آخر القصة فأبى ابوهُ الاجابة الى ما دعاهُ اليهِ ثم ان ابرهيم عليهِ السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينهُ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الاقدمون فانهم عدوٌّ لي الاَّ ربَّ العالمين «سورة الشعراء ٢٦ الآية ٧٥ — ٧٧» قالوا فمن تعبد انت قال رب العالمين قالوا تعني نمروذ فقال لا الذي خلقني فهو يهدين الى آخر القصة . ففشا ذلك

في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاهُ فقال لهُ يا ابرهيم أرأيت الهك الذي بعثك وتدعو الى عبادتهِ وتذكر من قدرتهِ التي تعظمهُ بها على غيره ما هو قال ابرهيم عليهِ السلام ربي الذي يحيي ويميتُ « سورة البقرة ٢ الآية ٢٦٠ » قال نمروذ انا أحيي وأميت قال ابرهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبهما القتل في حكمي فاقتل احدهما فاكون قد امتُّهُ ثم أعفو عن الآخر فاكون قد أحييتهُ فقال لهُ ابرهيم عليهِ السلام عند ذلك ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب « سورة البقرة ٢ الآية ٢٦٠» فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليهِ شيئاً. انتهى

وبعد ذلك لما أزف وقت وليمة قومهِ السنوية خرجوا جميعهم من المدينة فرجع ابرهيم عليهِ السلام الى المدينة لحاجة وكسر اصنامهم جذاذاً كما ورد في هذه العبارة الآتية من هذا الكتاب

اذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوهُ بين يدي الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا اكلنا فلما نظر ابرهيم عليهِ السلام الى الاصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجبهُ قال

ما لكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربًا باليمين « سورة الصافات ٣٧ الآية ٨٩ ـ ٩١ » وجعل يكسرهنّ بفأس في يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس في عنقهِ ثم خرج فذلك قولهُ عز وجل فجعلهم جُذاذًا الا كبيرًا لهم لعلهم اليهِ يرجعون «سورة الانبياء ٢١ الآية ٥٩» فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انهُ لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال لهُ ابرهيم « سورة الانبياء الآية ٦٠ و ٦١ » هو الذي نظنهُ صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومهِ فقالوا فأتوا بهِ على اعين الناس لعلهم يشهدون « سورة الانبياء الآية ٦٢» عليهِ انهُ هو الذي فعل ذلك وكرهوا ان يأخذوه بغير بيّنة . قالهُ قتادة والسدي . وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع بهِ ونعاقبهُ . فلما احضروهُ قالوا لهُ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال ابرهيم بل فعلهُ كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا معهُ هذه الاصنام الصغار وهو اكبر منها فكسرهنّ فاسألوهم ان كانوا ينطقون « سورة الانبياء الآية ٦٣ و ٦٤ » قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابرهيم عليهِ السلام الاّ ثلاث

كذبات كلها في الله تعالى قوله اني سقيم « سورة الصافات ٣٧ الآية ٨٧ » وقولهُ بل فعلهُ كبيرهم هذا وقوله للملك الذي عرض لسارة هي اختي فلما قال لهم ابرهيم ذلك رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون « سورة الانبياء ٢١ الآية ٦٥ » هذا الرجل في سؤالكم اياهُ وهذهِ آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرةً فاسألوها وذلك قول ابرهيم عليهِ السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون « سورة الانبياء الآية ٦٤ » فقال قومهُ مانراهُ الاّ كما قال وقيل انكم انتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤوسهم متحيرين في امره وعلموا انها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمتَ ماهؤلاء ينطقون « سورة الانبياء الآية ٦٦ » فلما اتجهت الحجة عليهم لابرهيم عليهِ السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم أفٍّ لكم ولِما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون « سورة الانبياء الآية ٦٧ » فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرّقوهُ وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين « سورة الانبياء الآية ٦٨ » قال عبد الله بن عمر ان الذي اشار عليهم بتحريق ابرهيم عليهِ السلام بالنار رجل من الاكراد قال

شعيب الجبائي اسمهُ ضينون نخسف الله تعالى بهِ الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة . قال فلما اجمع نمروذ وقومه على احراق ابرهيم عليه السلام حبسوهُ في بيت وبنوا لهُ بنياناً كالحظيرة فذلك قولهُ عز وجل قالوا ابنوا لهُ بنياناً فالقوهُ في الجحيم « سورة الصافات ٣٧ الآية ٩٥» ثم جمعوا لهُ من اصلب الحطب واصناف الخشب. انتهى

ثم ذكر المؤلف كيف ان الله سبحانهُ وتعالى وقى ابرهيم بنعمتهِ تعالى من حرارة النار وخرج منها سالماً غانماً. ثم قال وفي الخبر ان ابرهيم عليهِ السلام انما نجا بقولهِ حسبي الله ونعم الوكيل « سورة الزمر ٣٩ الآية ٣٩ وسورة آل عمران ٣ الآية ١٦٧ » قال الله عز وجل يا نار كوني برداً وسلاماً على ابرهيم« سورة الانبياء ٢١ الآية ٦٩ »

وبما اننا اوردنا هذه القصة بحذافيرها من القرآن والاحاديث علينا ان نوردها من كتب اليهود ونقارن بين هذه القصة المتواترة بين اليهود وبين ما ذكر اعلاه لتعرف حقيقة الفرق بينها فنقول

ورد في (مِدْراش رباّه[1]) في الفصل السابع عشر في تفسير الآية السابعة من الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ما نصهُ . ان تارح كان يصنع الاصنام فمرة خرج الى محل ما واناب عنهُ ابرهيم في بيعها فاذا اتى احد يريد الشراء كان يقول لهُ (ابرهيم) كم عمرك فيقول لهُ عمري خمسون او ستون سنة فكان يقول لهُ (ابرهيم) ويل لمن كان عمرهُ ستين سنة ويرغب في عبادة الشيء الذي لم يظهر في حيّز الوجود الا منذ ايام قليلة فكان يعتري الرجل الخجل وينصرف الى حال سبيلهِ .ومرة اتت امرأة وفي يدها صحن دقيق قمح وقالت لهُ ياهذا ضع هذا امامهم فقام واخذ عصا في يدهِ وكسرها كلها جُذاذاً ووضع العصا في يد كبيرهم فلما اتى ابوه قال لهُ من فعل بهم كذلك فقال لهُ (ابرهيم) لا اخفي عليك شيئاً ان امرأة اتت ومعها صحن دقيق قمح وقالت لي يا هذا ضع هذا امامهم فوضعتهُ امامهم فقال هذا اريد ان آكل اولاً وقال ذلك اريد انا ان آكل اولاً فقام كبيرهم واخذ عصا وكسرهم فقال لهُ (ابوهُ) لماذا تلفق عليّ خرافةً فهل هذه الاصنام

(١) انظر الملحق (نمرة ٤)

تدرك وتعقل فقال لهُ (ابرهيم) ألا تسمع اذناك ما تتكلم بهِ شفتاك فالقى عليهِ (والدهُ) القبض وسلمهُ الى نمروذ فقال لهُ (نمروذ) فلنعبد النار فقال لهُ ابرهيم فلنعبد المياه التي تطفئ النار فقال لهُ نمروذ فلنعبد المياهَ فقال لهُ (ابرهيم) اذا كان الامر كذلك فلنعبد السحاب الذي يجيء بالمياه فقال لهُ (نمروذ) فلنعبد السحاب فقال لهُ (ابرهيم) اذا كان الامر كذلك فلنعبد الرياح التي تسوق السحاب فقال لهُ (نمروذ) فلنعبد الرياح فقال لهُ (ابرهيم) فلنعبد الانسان الذي يقاوم الرياح فقال لهُ (نمروذ) اذا كان مرادك المحاولة فانا لا اعبد الاّ النار وها انا القيك في وسطها وليأتِ الله الذي تعبدهُ وينقذك منها ونزل ابرهيم في اتون النار ونجا . انتهى

فاذا قارنا هذهِ الخرافة اليهودية بالحكاية الواردة في القرآن عن ابرهيم لا نجد بينهما سوى فرق طفيف جداً وسبب هذا الفرق الطفيف هو ان محمداً لم يطالع هذه القصة في كتاب ما بل سمعها عن السنة اليهود شفاهياً ومما يؤيد هذا القياس هو ان القرآن قال ان اسم اب ابرهيم هو آزر كما في «سورة الانعام ٦ الآية ٧٤»

مع ان اسم ابيهِ في (مِدْراش رَباهْ) وفي خمسة اسفار موسى هو تارح ولكن قال يوزبيبوس احدمؤرخي اليونان الذي ترجم تاريخهُ الى اللغة السريانية ان اسم ابي ابرهيم هو آثر وهوخطأ مبين . والارجح ان هذا الخطأ نشأ عن تسمية اليهود لهُ في بعض الاحيان بزارح وبما ان محمداً كان سافر الى بلاد الشام فيمكن انهُ سمع بعضهم يسميه (آثر) ولما لم يتذكر صحتهُ تماماً قال ان ابا ابرهيم هو آزر ولهذا السبب يكتب العجم اي الفرس هذا الاسم هكذا (آزر) ويلفظونهُ كأَنهُ مشتق من لغة الفرس القديمة ومعنى آزر بالفارسية القديمة (نار)

قال بعض المسلمين في تفنيد هذا الاعتراض ان ما ذكرتموهُ يساعدنا مساعدة عظمى على تأييد صحة ديانتنا لان محمداً لم ينتحل هذه القصة من اليهود ولا من النصارى بل بالعكس انزلها عليهِ جبريل بالوحي . وبما ان اليهود الذين هم ذرية ابرهيم خليل الله قبلوها فشهادتهم تؤيد وتصدق لعبارة القرآن في هذه القضية

غير ان المعترضين المنتقدين ردُّوا على هذا قائلين انهُ لم

يعتقد بصحة هذه القصة الاّ عوام اليهود اما كلّ مهذب مدقق فيعرف ان منشأ هــذه الخرافة هو الاشتباه واللبس والخطأ ولبيان ذلك نقول . ان اساس هذه القصة مبني على قول الله تعالى الوارد في سفر التكوين الذي خاطب بهِ ابرهيم حيث قال انا الرب الذي اخرجك من اور الكلدانيين (سفر التكوين ١٥ الآية ٧) ومعنى أور بلغة البابليين القديمة مدينة . وقد وردت هذه اللفظة في كلمة (اورشليم) ومعناها مدينة شليم يعني مدينة اله السلام واور الكلدانيين هو المحل المسمى الآن المغيَّر وكان ابرهيم اولاً ساكناً في هذه المدينة ولكن توجد في اللغة العبرية وفي الارامية (الكلدية) لفظة أخرى وهي (أَوْر) تشبه (أور) في النطق وفي الكتابة غير ان معنى (أُوْر) في اللغة العبرية (النور) وفي اللغة الكلدية (النار) و بعد تدوين التوراة بسنين عديدة كان أحد مفسري اليهود الذي لم يكن لهُ ادنى إلمام ولا معرفة بلغة البابليين القديمة يترجم الآية المذكورة اعلاهُ الى اللغة الكلدية فترجمها وشرحها هكذا . انا الرَّبّ الذي اخرجك من (تنور نار الكلدانين) وهذا المفسر الجاهل الغبي قال في تفسيرهِ على

الآية ٢٨ من الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين ما نصهُ لما طرح نمروذ ابرهيم في أتون النار لامتناعهِ عن السجود لاصنامهِ فوقع ان لم يؤذن للنار بأن تضرَّهُ ومثَل هذا المفسر المسمى (يوناثان بن عزييل[1]) في الخطأ الذي ارتكبهُ كمثل انسان طالع في احدى الجرائد الاخبارية ان (الرت) أي الفار نقل الهيضة الى المركب فعوضاً عن ان يترجم لفظة (الرت) بالفار لان هذا هو معناها باللغة الانكليزية ظن ان (الرت) هو الرجل العظيم فقال ان الرجل العظيم نقل الهيضة الخ لان لفظة الرتّ باللغة العربية هو الرجل العظيم ولم يدرِ ان اللفظة التي ترجمها هي اجنبية فلا عجب من وقوع الجاهل في مثل هذا الغلط الذي بنيت عليهِ هذه القصة . ولكن هل يمكن ان نصدق بان النبي الحقيقي يتوهم صدق هذه الخرافة ويدوّنها في كتابهِ ثم يدعي ان كتابهُ هو منزّل من عند الله عز وجلّ وان الدليل على ذلك هو مطابقته وموافقته لكتب اليهود الموحى بها . و بصرف النظر عن كل ذلك فنمروذ الجبَّار حسب كلام موسى الوارد في سفر

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٥ و ٦)

التكوين لم يكن في ايام ابرهيم فانهُ كان قبل مولد ابرهيم بأَجيال عديدة . ولكن مع ان اسم نمروذ ورد في الاحاديث والتفاسير الاسلاميـة الاّ انهُ لم يرد في هذه القصة الواردة في القرآن ذاته . لعمري ان مَثَل من ادخل اسم نمروذ في القصة هو كمثل جاهل بالكتابة والتاريخ ادعى ان اسكندر ذا القرنين القى عثمان احد سلاطين العثمانيين في النار ولم يقـل ذلك الاّ لانهُ يجهل مقدار الزمان بين اسكندر وعثمان ولانهُ لم يدرِ ان عثمان لم يلقَ في النار مطلقاً

(٣) حكاية الملكة سبا وكيفية مجيئها الى سليمان . اذا قارنا بين ما ورد في القرآن بخصوص بلقيس ملكة سبا وبين ما ورد في (الترجوم الثاني عن كتاب استير[١]) نجد حسب حجة المعترضين ان اليهود هم الذين ابلغوا محمـداً هذه القصة فوقعت عندهُ موقعاً حسناً فانشرح منها غاية الانشراح حتى ادخلها في القرآن وهاك نصها حسب ورودها في (سورة النمل ٢٧ الآية ١٧ و ٢٠ — ٤٥) «وحُشر لسليمانَ جنودهُ من الجنّ والانس

(١) انظر الملحق (نمرة ٧)

والطير فهم يوزعون .... وتفقّد الطيرَ فقال مالي لا أرى الهدهدَ أم كان من الغائبين لأعذّبنّهُ عذاباً شديداً أو لأذبحنّهُ أو ليأتيني بسلطانٍ مبين فمكث غيرَ بعيدٍ فقال أحطتُ بما لم تحطْ به وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين اني وجدتُ امرأةً تملكهم وأوتيتْ من كلّ شيء ولها عرشٌ عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمسِ من دون الله وزيّن لهم الشيطانُ أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألاّ يسجدوا للهِ الذي يُخرجُ الخبأَ في السموات والارض ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون . الله لا إلهَ الاّ هو ربُّ العرشِ العظيم . قال سننظرُ أصدقتَ أم كنت من الكاذبين . إذهب بكتابي هذا فألقهِ اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يا أيّها الملا إني أُلقيَ اليّ كتابٌ كريم . انهُ من سليمانَ وانهُ بسم الله الرحمن الرحيم ألاّ تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين . قالت يا أيّها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوّةٍ وأولوا بأسٍ شديد والامر اليكِ فانظري ماذا تأمرين . قالت انَّ الملوك اذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلَّةً وكذلك يفعلون . واني مرسلةٌ

اليهم بهديةٍ فناظرةٌ بمَ يرجعُ المرسلون. فلما جاءَ سليمانَ قال أتمدُّونن بمالٍ فما أتاني اللهُ خيرٌ مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . إرجع اليهم فلنأتينهم بجنودٍ لا قِبلَ لهم بها ولنخرجنَّهم منها أذِلَّة وهم صاغرون. قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبلَ أن يأتوني مسلمين . قال عِفريتٌ من الجنّ انا آتيكَ بهِ قبل أن تقومَ من مقامك واني عليهِ لقويٌّ امين . قال الذي عندهُ عِلمٌ من الكتاب أنا آتيكَ بهِ قبل ان يرتدّ اليك طرفك فلما رآهُ مستقرًّا عندهُ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسهِ ومن كفر فانّ ربي غنيٌّ كريم. قال نكّروا لها عرشها ننظرْ أتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون. فلما جاءَت قيل اهكذا عرشكِ قالت كأنهُ هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. وصدّها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قومٍ كافرين . قيل لها ادخلي الصَّرْحَ فلما رأتهُ حسبتهُ لجّةً وكشفت عن ساقيها قال انهُ صرحٌ ممرَّدٌ من قوارير . قالت ربّ اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين »

فهذا هو ما قالهُ القرآن عن ملكة سبا ثم ان ما ورد في هذه السورة عن هذا العرش العظيم يختلف اختلافاً قليلاً عما ورد في الترجوم الذي ذكرناهُ لانهُ ذكر في هذا الترجوم ان صاحب هذا العرش العجيب كان الملك سليمان نفسه وانهُ لم يوجد عرش مثله في مملكة اخرى لانهُ كان لهُ ست درجات ذهب وعلى كل درجة اثنا عشر أسداً من ذهب واثنا عشر نسراً من ذهب. وكان يوجد خلافها اربعة وعشرون نسراً اخرى فوق هذا العرش العجيب تلقي ظلها على رأس الملك ومتى اراد الملك التوجه الى مكان ما كانت تنزل هذه النسور القوية وتصعد بعرشهِ وتحملهُ الى حيث اراد. فترى ان تلك النسور كانت حسب قول الترجوم تؤدي الوظيفة التي قام بها عفريت القرآن (اي عفريت الجن الوارد ذكرهُ في القرآن) اما من جهة ملكة سبا ومجيئها الى سليمان ومن جهة الرسالة التي ارسلها اليها الملك وغيره وغيره فتوجد مشابهة عجيبة ومطابقة غريبة بين هذين الكتابين غاية الامر انهُ يوجد هذا الفرق وهو ان الترجوم يسمى حامل رسالة سليمان ديك الصحراء والقرآن

يسميهِ الهدهد. وقد اوردنا ترجمة هذه القصة من الترجوم وتجدها بنصها وفصها باللغة الكلدية في ذيل هذا الكتاب. مرةً اخرى لما انشرح قلب سليمان بخمرهِ امر باحضار حيوانات الصحراء وطيور الهواء وزحافات الارض والجن والارواح والعفاريت لترقص امامه ليظهر بذلك عظمتهُ لجميع الملوك الذين كانوا خاضعين خاشعين امامهُ. فاستدعى كتبة الملك بأسمائهم فاجتمعوا واتوا اليهِ ما عدا المسجونين والاسرى والرجل الذي فوضت لهُ حراستهم. وكان ديك الصحراء في تلك الساعة يمرح بين الطيور ولم يوجد فأمر الملك من جهتهِ بأن يحضروهُ بالقوة وهمّ باهلاكهِ فرجع ديك الصحراء ووقف امام حضرة الملك سليمان وقال لهُ اسمع يا مولاي ملك الارض واملْ أذنك واسمع اقوالي. ألم تمض ثلاثة اشهر من حين ما تفكرت في قلبي وصممت تصميماً اكيداً في نفسي بأن لا آكل ولا اشرب ماءً قبل ان ارى كل العالم واطير فيهِ. وقلت ما هي الجهة أو ما هي المملكة الغير مطيعة لسيدي الملك فشاهدت ورأيت مدينة محصنة اسمها قيطور في ارض شرقية وترابها ثقيل من الذهب والفضة كزبالة

في الاسواق وغرستْ فيها الاشجار من البدء وهم شاربون الماء من جنة عدن ويوجد جماهير يحملون اكاليل على رؤوسهم فيها نباتات من جنة عدن لانها قريبة منها . ويعرفون الرمي بالقوس ولكن لا يمكن ان يُقتلوا بها وتحكمهم جميعهم امرأة اسمها ملكة سبا. فاذا تعلَّقت ارادة مولاي الملك فليمنطق حقويّ هذا الشخص وارتفع واصعد الى حصن قيطور الى مدينة سبا وانا اقيّد ملوكهم بالسلاسل واشرافهم باغلال الحديد واحضرهم الى سيدي الملك . فوقع هذا الكلام عند الملك موقعاً حسناً فدُعي كتبة الملك وكتبوا كتاباً وربطوا الكتاب بجناحي ديك الصحراء فقام وارتفع الى السماء وربط تاجه وتقوّى وطار بين الطيور فطاروا خلفه وتوجهوا الى قلعة قيطور الى مدينة سبا. واتفق في الفجر ان ملكة سبا كانت خارجة الى البحر للعبادة فحجبت الطيور الشمس فوضعت يدها على ثيابها ومزقتها واندهشت واضطربت . ولما كانت مضطربة دنا منها ديك الصحراء فرأت كتاباً مربوطاً في جناحه ففتحتهُ وقرأتهُ وهاك ما كُتب فيهِ مني انا الملك سليمان سلام لكِ وسلام لامرآءكِ لانك تعرفين

ان القدوس المبارك هو جعلني ملكاً على وحوش الصحراء وعلى طيور الهواء وعلى الجن وعلى الارواح وعلى العفاريت وكل ملوك الشرق والغرب والجنوب والشمال يأتون للسؤال عن سلامتي . فاذا اردتِ واتيتِ للسؤال عن صحتي فحسناً تفعلين وانا اجعلك اعظم من جميع الملوك الذين يخرُّون سجداً امامي واذا لم تطيعي ولم تأتِ للسؤال عن صحتي ارسل عليكِ ملوكاً وجنوداً وفرسانا واذا قلتِ ماهم الملوك والجنود والفرسان الذين عند الملك سليمان إن حيوانات الصحراء هنَّ ملوك وجنود وفرسان واذا قلتِ ماهي الفرسان قلت ان طيور الهواء هي فرسان وجيوشي الارواح والجن والعفاريت هم الجنود الذين يخنقونكم في فُرُشكم في داخل بيوتكم. حيوانات الصحراء يقتلونكم في الخلاء طيور السماء تأكل لحمكم منكم . فلما سمعت ملكة سبا اقوال الكتاب القت ثانية يدها على ثيابها ومزقتها وأرسلت واستدعت الرؤساء والامراء وقالت لهم ألم تعرفوا ما ارسله اليَّ الملك سليمان فاجابوا قائلين لا نعرف الملك سليمان ولا نعتدُّ بمملكتهِ ولا نحسب لها حساباً فلم تصغِ الى اقوالهم بل ارسلت واستدعت كل مراكب البحر

وشحنتها هدايا وجواهر وحجارة ثمينة وارسلت اليهِ ستة آلاف ولداً وابنةً وكلهم ولدوا في سنة واحدة وشهر واحد ويوم واحد وكلهم ولدوا في ساعة واحدة وكانوا كلهم لابسين ثياباً ارجوانية وكتبت كتاباً وارسلتهُ الى الملك سليمان على ايديهم « ونصهُ » من قلعة قيطور الى ارض اسرائيل سفر سبع سنين انه بواسطة صلواتكَ وبواسطة استغاثاتكَ التي التمسها منكَ سآتي اليكَ بعد ثلاث سنين فوقع بعد ثلاث سنين ان اتت ملكة سبا الى الملك سليمان. ولما سمع الملك سليمان ان ملكة سبا اتت ارسل اليها بنايا بن يهوياداع الذي كان كالفجر الذي يبزغ في الصباح وكان يشبهُ كوكب الجلال (اي الزهرة) التي تتلألأ وهي ثابتة بين الكواكب ويشبه السوسن المغروس على مجاري المياه . ولما رأت ملكة سبا بنايا بن يهوياداع نزلت من العربة فاجاب بنايا بن يهوياداع قائلاً لها لماذا نزلت من عربتكِ فاجابتهُ وقالت لهُ ألستَ انت الملك سليمان فاجابها وقال لها لست انا الملك سليمان بل احد خدامهِ الواقفين امامهُ ففي الحال التفتت الى خلفها ونطقت بمثل للامراء (وهو) فاذا لم يظهر امامكم الاسد فقد

رأيتم ذريتهُ فاذا لم تروا الملك سليمان فقدشاهدتم جمال شخص واقف امامهُ. فأتى بها بنايا بن يهويا داع امام الملك ولما بلغ الملك أنها قد أتت امامهُ قام وذهب وجلس في بيت بلوريّ . ولما رأت ملكة سبا ان الملك جالس في بيت بلوري توهمت في قلبها قائلةً ان الملك جالس في الماء فرفعت ثوبها لتعبر فرأى ان لها شعراً على الساقين فأجاب الملك قائلاً لها ان جمالك هو جمال النساء وشعرك هو شعر الرجل فالشعر هو حلية الرجل ولكنهُ يعيب الامرأة . فاجابت ملكة سبا قائلة يامولاي الملك سأنطق لك بثلاثة امثال فاذا فسرتها لي فأعرف انك حكيم والاّ كنتَ كسائر الناس ... (ففسر الملك سليمان لها الثلاثة امثال) فقالت يتبارك الرب الهك الذي سر بك واجلسك على عرش المملكة لتجري

قضاءً وعدلاً واعطت للملك ذهباً وفضة واعطاها الملك كل ما اشتهت . انتهى

فترى في هذه القصة اليهودية انه ذكر فيها بعض الامثال التي طلبت ملكة سبا من سليمان حلها . ومع انهُ لم يرد لها ذكر في القرآن الاّ انها ذكرت في الاحاديث وبما ان القرآن لم يستوفِ

صفة ساقي الملكة وجب استيفاء تكملتها من الاحاديث . وقد رأينا في عرائس المجالس صحيفة ٤٣٨ ضالتنا المنشودة لانه ذكر فيهِ انهُ لما ارادت ملكة سبا الدخول الى قصر سليمان وتوهمت ان البلور ماءً حينئذٍ كشفت عن ساقيها لتخوضهُ الى سليمان فنظر سليمان عليهِ السلام فاذا هي احسن الناس ساقاً وقدماً الاّ انها كانت شعراء الساقين . فلما رأى سليمان ذلك صرف بصرهُ عنها وناداها انهُ صرح ممرَّد من قوارير . والآن يناسب ان نتحرَّى ونتروَّى فيما اذا كانت قصة ملكة سبا (وفي العبرية شبا) لها اساس حقيقي أو لا اصل لها مطلقاً . فاذا نظرنا الى الكتاب المقدس نجد ان لها اصلاً لانه ورد في كتاب الملوك الاول وكذلك في سفر اخبار الايام الثاني ذكر مجيئها فقط الى سليمان كما ترى فيما يأتي

« وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لمجد الرب فاتت لتمتحنهُ بمسائل . فاتت الى اورشليم بموكب عظيم جداً بجمال حاملة اطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة واتت الى سليمان وكلمتهُ بكل ما كان بقلبها. فاخبرها سليمان بكل كلامها . لم يكن امر مخفياً

عن الملك لم يخبرها به . فلما رأت ملكة سبا كل حكمة سليمان والبيت الذي بناهُ وطعام مائدتهِ ومجلس عبيدهِ وموقف خدامهِ وملابسهم وسقاتهِ ومحرفاتهِ التي كان يصعدها في بيت الرب لم يبق فيها روح بعد . فقالت للملك صحيحاً كان الخبر الذي سمعتهُ في ارضي عن امورك وعن حكمتك ولم اصدق الاخبار حتى جئتُ وابصرتْ عيناي فهوذا النصف لم أُخبر بهِ . زدتَ حكمة وصلاحاً على الخبر الذي سمعتهُ طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين امامك دائماً السامعين حكمتك ليكن مباركاً الرب الهك الذي سُرَّ بك وجعلك على كرسي اسرائيل لان الرب احب اسرائيل الى الابد . جعلك ملكاً لتجري حكماً وبراً واعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهبٍ واطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي اعطتهُ ملكة سبا للملك سليمان » (سفر الملوك الاول ١٠ الآية ١–١٠ والايام الثاني ٩ الآية ١–٩)

فهذا هو اصل هذه القصة وما زاد على ذلك فهو زيادات وهمية وتفاصيل خرافية كما قرَّر ذلك علماء اليهود انفسهم . نعم

وُجد ايضاً في السفرين المذكورين وهما سفر الملوك واخبار الايام شيءٌ عن عرش سليمان الرفيع ولكن لم يرد شيءٌ عن نقلهِ وحمله. وماورد في القرآن بخصوص حكم سليمان على الجن والعفاريت وغيره يطابق غاية المطابقة لما ورد في كتاب الترجوم المذكور سابقاً. ولكن اذا بحثنا عن اصل هذه الرواية نجد منشأها الوهم ايضاً فقال علماءُ اليهود ان هذا المفسر بنى اوهامهُ على ما اقترفهُ من الخطأ في ترجمة كلمتين عبريتين وهما (شِدّاه وشِدّوْتْ) في « سفر الجامعة ٢ الآية ٨ » ومعناهما سيدة وسيدات لانهُ لما كان يندر وجود هاتين اللفظتين في العبرية خبط وخلط هذا المفسر الجاهل لعدم معرفتهِ بمعناهما الصحيح فاشتبهتا عليهِ بكلمتين شبههما وفسرهما بالجن. وكان له المام بالكلمتين الدالتين على الجن . وكل من تحرَّى قصة ملكة سبا التي ترجمناها من كتاب الترجوم ظهر لهُ بلا شك ولا شبهة ان هذه الخرافة تشبه الحكايات الواردة في كتاب الف ليلة وليلة شبهاً كثيراً ولكن لما لم يكن محمد عارفاً بذلك وسمع هذه الرواية من اليهود توهم انهم اخذوها عن التوراة وتلوها عليهِ فاوردها في القرآن

ومع ان كثيراً من قصص وحكايات القرآن مستعارة من الخرافات اليهودية غير اننا نكتفي بسرد قصة أخرى مثل هذه قبل ان ننتقل الى الكلام على ما هو اهم من ذلك . والقصة التي نريد البحث فيها هي حكاية هاروت وماروت ولنوردها اولاً من القرآن والاحاديث ثم ننقل ما ورد منها في كتب اليهود ونقارنها بما ورد في القرآن والاحاديث

(٤) قصة هاروت وماروت . ورد في القرآن ما نصهُ «وما كفر سليمانُ ولكنّ الشياطينَ كفروا يُعلّمون الناسَ السحرَ وما أُنزل على الملَكين ببابلَ هاروتَ وماروتَ وما يُعلّمان من احدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر» (سورة البقرة ٢ الآية ٩٦) وورد في عرائس المجالس في تفسير هذه الآية ما نصهُ

قال المفسرون ان الملائكة لما رأَوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة (وذلك في زمن ادريس النبي عليه السلام) عيَّروهم بذلك وانكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاءَ في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو انزلتكم الى الارض وركَّبتُ فيكم ما ركَّبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا

سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم . قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غُيِّر اسمهما لما اقترفا الذنب كما غيَّر الله اسم ابليس وكان اسمهُ عزازيل . فركَّب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم واهبطهم الى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر . فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبهِ استقال ربهُ وسألهُ ان يرفعهُ الى السماء فاقالهُ ورفعهُ وسجد اربعين سنة ثم رفع رأسهُ ولم يزل بعد ذلك مطأطأً رأسهُ حياءً من الله تعالى . واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء . قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انهُ اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من اجمل النساء قال علي رضي الله عنهُ كانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما

رأياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت
ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا إلاَّ ان
تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر
فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت
ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من
الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فابت وعرضت عليهما
ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله امر عظيم وقتل النفس
عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر. فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة
وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاهُ. قال الربيع بن انس وسجدا للصنم
فمسخ الله الزهرة كوكباً وقال علي رضي الله عنهُ والسعدي والكلبي
انها قالت لا تدركاني حتى تعلّماني الذي تصعدان به الى السماء
فقالا نصعد باسم الله الاكبر فقالت فما انتما بمدركيَّ حتى تعلّمانيه
قال احدهما لصاحبهِ علمها فقال اني اخاف الله فقال الآخر
فاين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت بهِ وصعدت الى السماء
فمسخها الله تعالى كوكباً . انتهى

فاذا اخذنا في البحث والتحري عن اصل هذه القصة

وجدناها في موضعين او في ثلاثة مواضع من تلمود اليهود ولا سيما في (مدراش يلكوت [1]) في الفصل الرابع والاربعين وهاك نص ترجمتها

إِستفهم تلاميذ يوسف الرباني من (استاذهم عن) عزائيل فقال لهم لما قام جيل الطوفان (يعني القوم الذين كانوا موجودين في عصر طوفان نوح) ودانوا بالعبادة الباطلة سخط (عليهم) القدوس تبارك هو فقام ملكان (شمحزاي) و (عزائيل) وقالا بحضرتهِ يا رب العالم ألم نقل بحضرتك لما خلقت عالمك من هو الانسان حتى تذكرهُ (المزامير ٨ الآية ٤) فقال لهما واما العالم فماذا يحصل لهُ فقالا لهُ يارب العالم نتسلط عليهِ فقال لهما انهُ مكشوف ومعلوم عندي بانهُ اذا تسلطتم انتم على الارض تتسلطن عليكم الشهوة الردية وتكونون اكثر من بني آدم عناداً فقالا لهُ ائذن لنا ان نسكن مع الخلائق وترى كيف نقدس اسمك فقال لهما اهبطا واسكنا معهم فنظر شمحزاي صبية واسمها إِسطَهَرْ (استير) فشخص وقال لها اطيعيني فقالت لهُ لا أصغي لك ما لم تعلمني

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٨)

الاسم المختص (بالله) الذي في ساعة ذكرك اياه أصعد الى الفلك فعلمها اياهُ فذكرتهُ وصعدت الى الفلك ايضاً ولم تدنس عرضها . قال القدوس تبارك هو بما انها نزهت نفسها عن التجاوز فاذهبوا واجعلوها بين السبعة الكواكب لتكونوا طاهرين من جهتها الى الابد فوُضعت بين الثريَّا . وتجسا مع بنات آدم اللواتي كنَّ جميلات ولم يقدرا على قمع شهوتهن فقاما واتخذا زوجات وولدا ولدين (هوَّآء) و (هيئآء) فاستغان عزائيل بالحلى المتنوعة وانواع زخرفات النساء المبهرجة على اغواء واغراء بني آدم على اقتراف التجاوز

ومما يلزم التنبيه عليهِ هو ان عزرائيل الذي تقدم ذكرهُ في الاحاديث المذكورة آنفاً هو ذات عزائيل المذكور في التلمود

ومن قارن هاتين القصتين ببعضهما يرى انهما قصة واحدة غاية الامر ان الحديث قال ان الملاكين اللذين اخطأا هما هاروت وماروت مع اعترافهِ بانهما كانا يسميان في الاصل باسمين آخرين اما في (مدراش يلكوت) فتسميا بشمحزاي وعزائيل . ولكن

اذا سأل سائل وقال من اين استعار الاسم الوارد في القرآن والاحاديث قلنا لهُ انا نرى بعد التحري ان هاروت وماروت هما اسما الهين قديمين كاذبين كان يعبدهما الارمن في الازمنة القديمة . لان مؤرخي الارمن رووا في تواريخهم ان الارمن كانوا يعبدون الهين اسمهما باللغة الارمنية (هوْرَوْت وموْرَوْت) وهاك نص عبارة احد مؤرخي الارمن[1] قال

هوروت وموروت كانا بلاشك من اعوان وانصار الالهة (إسباندراميت) وهما بطلا جبل (مازيس[2]) و (آمينابيغ) ايضاً وربما كانت توجد آلهة أخرى لا معلومية لنا بهم الى الآن وكانوا من اعظم المساعدين على تقوية الارض وخصبها ووفرة كسبها . انتهى

ولشرح وتوضيح هذه الجملة نقول ان (اسباندراميت) كانت الآلهة التي كان يعبدها الفرس ايضاً لان (الزرّدشتيين) كانوا يعتقدون انها روح الارض وتوهموا انها هي سبب كل

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٩)

(٢) اي جبل اراراط والاتراك يسمونهُ آغري طاغ

مانبت على الارض من المحصولات الطيبة والاثمار اليانعة . وكان سكان ارمينية يسمون اله الكروم باسم (آمينابيغ) وذهبوا الى ان هوروت وموروت هما الالهان المساعدان لالهة الارض اذ توهموا انهما الروحان المتسلطنان على الرياح وهما اللذان يحملان ويسخران الرياح التي كانت تجمع السحاب الذي يأتي بالمطر ليصدم قمة جبل اراراط الشامخة فتنهطل الامطار على الارض وحينئذ تتقوى الارض على انبات النباتات واخراج المحصولات. فيتضح من هذا ان هوروت وموروت كانا في الاصل روحين للرياح ومما يؤيد ذلك ان كثيراً ما ذُكر في كتب الهنود القديمة كلمة (المَرُتُونَ) فان قدماء الهند كانوا يعتقدون انهم آلهة الزوابع القاصفة والرياح العاصفة . وبناءً على ذلك انتقلت كلمة (مَرُت) الى اللغة الارمنية وصارت (موروت) فتوهم الارمن ان لفظة موروت هي مشتقة من لفظة (مَوْر) باللغة الارمنية وهي مضاف اليه لكلمة معناها (أُمٌّ) ثم وضعوا لفظة (هوْر) في مقابلة لفظة (موْر) لحصول المناسبة فان معنى (هوْر) هي بلغتهم مضاف اليه لكلمة معناها (أب) وبهذه

الكيفية احدثوا وصاغوا كلمة هوروت وموروت وهذا هو اصل وضعهما ومنشأهما. وعليه فيكون المراد من قوله ان هذين الملكين هبطا من السماء ومالا الى التناكح والتناسل هو ان هذين الروحين اللذين في قبضتهما الرياح ساعدا الارض على انبات المحصولات واخراج الثمار بتسخيرهما الرياح التي كانت تسوق سحب الامطار. اما (إسطَهَر) وهو اسم الصبية الواردة في القصة اليهودية « وهي ذات (عشتاروت) احدى الآلهة الكاذبة التي كان يعبدها عبدة الاصنام القدماء » فهي الزهرة اي الكوكب السيار التي ورد اسمها في الاحاديث التي ذكرناها آنفاً. وكان يعتقد اهل بابل في قديم الزمان ان هذا الكوكب السيار آلهة فكان جميع سكان بابل وسورية قاطبة يعبدونها لانهم زعموا ان لها الرئاسة على التوليد وانتاج الذرية وتوهموا ايضاً انها كانت تنشرح وتسَرّ من كل انواع الفسق والفجور. ووجدت لفظة (اشتَر) وهو اسمها منقوشاً في قوالب اجرّ قديمة التي اكتشفت في ايامنا في البلاد الواقعة بين النهرين ووجدت كتابات منقوشة بالاحرف الاشورية الاثرية القديمة على قوالب

اللبن المشوي" فان بعض هذه القوالب كانت عند القدماء بمنزلة كتبهم ووجدت فيها روايات كثيرة عن (اشتر) أي الزهرة وهاك ترجمة قصة منها ترجمت من اللغة البابلية القديمة فافادتنا عن شخص وهمي لاوجود له الاَّ في الخيال والوهم اسمهُ (جلْجَميش) عشقتهُ (اشتر) ولكنهُ لم يمل اليها وهاك نص ترجمة القصة[1] وهي

لبس جِلْجَميش تاجهُ ولما ارادت الألاهة اشْتر أن تستميله اليها قالت لهُ قبّلني يا جلجميش ويا ليتك كنت عريسي اعطني ثمرك عطية وليتك كنت بعلي وليتني انا زوجة لك وحينئذٍ اركب عربة من لازورد وذهب وعجلاتها من ذهب وعريشاها من الالماس وحينئذٍ يلزم ان تقطر البغال العظيمة اليها يومياً فادخل الى بيتنا مع عطر السرور . غير ان جلجميش استهزأ وتهكم على اشتروونبها ولم يرضَ ان يتخذها زوجة له ثم ذُكر في هذه القوالب باقي ما بقي من القصة ونصها

فاغتاظت الالاهة اشتر وصعدت الى السموات ومثلت الالاهة اشتر امام الالاهة (انو) وهو اله السماء الذي كان

(١) انظر الملحق (نمرة ١٠ و ١١)

يعبدهُ البابليون وكانوا يعتقدون ان اشترهي ابنتهُ

فمن الواضح انهُ ورد في هذه القصة القديمة المتداولة بين عبدة الاصنام البابليين ذكر اصعود اشتر اي الزهرة الى السمآء كما ورد ذكر هذه الحادثة اي صعودها في الاحاديث الاسلامية وفي التفسير اليهودي الذي استشهدنا بعبارتهِ . وليس ذلك فقط بل ورد في الكتاب الهنديِ المكتوب بلغة سانسكريت القديمة واسمهُ (المهابهارته) ما يشبه هذه الخرافة فانهُ قال ان روحين اسمها (سُندوَاُپسُنْد) نالا في قديم الزمان من الاله (پرَهما) فضلاً واستحقاقاً بواسطة تقشفهما وزهدهما فتسلطا على السمآء والارض فاستوليا عليها استيلاء . فداخل هذا الاله الفزع والجزع لئلا تخرج جميع املاكهِ من يده ما لم يعدم خصيمهِ الذين شاطراهُ الملك . وللتوصل الى اهلاكهما وملاشاتهما خلق حورية اسمها (تلوتمَّا) ووهبها لهما ولما شاهدها هذان الاخان اخذها (سنْد) من يدها اليمنى واخذها (اُپسنْد) من يدها اليسرى ورغب كل منهما ان يتخذهـا قرينةً لهُ فنشأ عن ذلك بين الاخين العداوة والبغضآء واستفحل الشر وتفاقم الضر حتى اقتتلا

فقتُلا فبارك برهما الحورية (تلَوتمَّا) واثنى عليها ثناءً جميلاً وقال لهـا ستحيطين بجميع الدنيا التي تشرق عليها الشمس ولا يمكن لاحد ان يفتح عينيهِ فيكِ لعظم بهائكِ وسنا اشعة زينتك وفوقان جمالك الرائع الباهر كما هو مذكور في كتاب (المهابهارته) في باب رواية (سند وپسند وپا كهيانم) اي (قصة سند وأپسند)

فنرى في هذه الخرافة انهُ ورد ايضاً فيها ذكر للصعود الى الفلك والحورية التي كان جمالها رائعاً وباهراً تختلف اختلافاً زهيداً جداً عن الزهرة واشتر. غاية الامر ان الزهرة اشتر كانت حسب الرواية اليهودية والاحاديث الاسلامية على الارض قبل صعودها الى الفلك . ولكنها حسب الرواية الهندية والبابلية كان لها ارتباط وتعلق بالسماء من اول الامر لاعتقادهم ان اشتر كانت الهة وكذلك (تلِوتَّما) الحورية . ويوجد اختلاف آخر وهو ان مقتضى الرواية الهندية هو ان الروحين اللذين عشقاها كانا اولاً على الارض ولكن مقتضى الرواية اليهودية والاسلامية انهما هبطا من الفلك . وذهب الهنود الى ان هذين الاخيرين تناسلا من الهة اسمها (دِتي) أُم (المرُتين) الذين ذكرناهم

انفاً وعلى هذا يكون اصلهما حسب الرواية الهندية ايضاً من السماء . والحاصل ان جميع هذه القصص هي مشابهة جداً بعضها لبعض من وجوه كثيرة وتداولت بين الوثنيين عبدة الاصنام في الازمنة القديمة

وقد ذهب المحققون الى انه لما كان اليهود يميلون الى الخرافات المصنعة والحكايات الملفقة المزوقة اخذوا من عبدة اصنام بابل قصة (اِشْتَر) ولما نسوا اصلها اعتقدوا في الازمنة الحديثة انها حكاية صحيحة فدوّنوها في التلمود بالصورة التي وجدناها عليها . ولما سمع المسلمون هذه الحكاية من اليهود ولم يعرفوا انها خرافة باطلة لذلك رأيناها مدونة بالاختصار في القرآن كأنها حكاية صحيحة وواردة مفصلة في الاحاديث

ولكن اذا سأل سائل وقال لماذا قبلها اليهود . قلنا ان سبب قبولهم اياها هو خطأهم في فهم معنى كلمة في سفر التكوين فكل ما كتب في التلمود عن مباشرة ومعاشرة الملائكة للنساء من بني آدم ناشيء عن تفسير الفقرة الاتية في سفر التكوين وهي « وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الارض وولد لهم

بنات ان ابناء الله رأوا بنات الناس انهنَّ حسنات فاتخذوا لانفسهم نساءً من كل ما اختاروا . . . . كان في الارض (النَّفيليمْ) في تلك الايام وبعد ذلك ايضاً اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدنَ لهم اولاداً هولاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم » (تكوين٦ الآية١و٢ و٤)(قوله ابناء الله هم الاتقياء الصالحون الذين تناسلوا من شيث بن آدم الثالث) والارجح ان اصل ومعنى كلمة نَفيلْ وجمعها (نَفيلِيم) في العبرية هو مثل قولنا في اللغة العربية (نَبيل) وجمعها نبلاء . وذهب البعض الى انها تدل على العتاة الذين كان دأبهم التعدي على الضعاف وتجريعهم غصص الجور . وترجم كتاب (تَرْجوم أُونتْلوس) لفظة (نَفيليمْ) الواردة في الاية المتقدمة بكلمة كلدية معناها بالعربية الجبابرة وانها مشتقة من اصل هذه الكلمة العربية ولا شك ان هذا هو صواب . ولكن لما كان احد مفسري قدماء اليهود واسمهُ يوناثان بن عزّئيل[1] يجهل معنى كلمة نفيليمْ العبرية النادرة الاستعمال توهم ان معناها الملائكة الساقطين فلذا فسر

---

(١) انظر الملحق (نمرة ١٣)

الآية الرابعة الواردة في الآية المذكورة من سفر التكوين هكذا « شمحزاي وعزئيل هبطا من السماء وكانا على الارض في تلك الايام » فمن هنا نرى ان منشاء هذه الخرافة من اولها الى اخرها عن إشتر المذكورة في (مِدْراش ياكوتْ) هو الخطاء الذي اقترفه هذا الرجل وغيره ممن نحا نحوه وحذا حذوه فقبلوا احدى خرافات عبدة الاصنام البابليين جهلاً وتفريطاً بالحق وتوهموا انها تبين معنى آية في التوراة التبس عليهم معناها فلم يفهموها ومع ذلك فلا عذر لهم في ذلك اذ قد رأينا ان احد علماء اليهود المفسرين وهو اقدم منهم عهداً وزمناً وارسخ منهم قدماً فسَّر هذه اللفظة حق تفسيرها وشرح معناها الحقيقي الذي التبس عليهم

وبما ان اليهود الجهلة كانوا يميلون الى الخرافات وكانوا مغرمين ومولعين بذكر الغرائب فلا عجب اذا وجدنا في بعض كتبهم قصة سقوط الملائكة وخطيتهم بهذه الكيفية . وكانت تزداد غرابة من وقت الى آخر ففي مبدأ الامر قال اليهود ان ملاكين هبطا وسقطا ولكن بعد ذلك زادوا عددهم من حين

الى آخر في الخرافات المتواترة بينهم وفي آخر الامر ورد في الكتاب المفتعل الملفق المنسوب كذباً وزوراً الى النبي اخنوخ[١] انهُ بلغ عدد الملائكة الذين هبطوا من السماء ٢٠٠ وانهم اجمعين هبطوا لاقتراف الفسق مع النساء . وها نورد الفقرة الآتية من كتاب اخنوخ المفتعل والموضوع مترجمة من اللغة الحبشية لان الاصل اليوناني لهذا الكتاب وصل الينا بحالة مهشمة ناقصة وهاك ترجمة هذه العبارة

« ولما رأت (أي بنات الناس) الملائكةَ وهم ابناء السموات افتتنوا بهنَّ وقالوا بعضهم لبعض تعالوا نتخذ لانفسنا زوجات من بنات الناس ونخلف اولاداً لأنفسنا فقال لهم سميازا (اي شمحزاي) الذي هو رئيسهم . . . وعلَّم إزازيل (اي عزازيل) بني آدم صناعة عمل السيوف والخناجر والتروس والدروع لصدورهم واراهم واعقابهم مصنوعاتهم يعني الاساور والحلى واستعمال الكحل لتزجيج اهداب عيونهم واستعمال جميع انواع الصباغة المتنوعة وصرافية الدنيا (اي النقود التي يتعامل بها

(١) انظر الملحق نمرة ١٤

الانسان في هذه الدنيا) كتاب اخنوخ الفصل السادس الآية ٢ و٣ والفصل الثامن الآية ١ »

ومما يجب التنبيه عليهِ هو ان مسألة تعليم الملائكة للناس الامور المذكورة آنفاً قد ذُكرت في (سورة البقرة ٢ الآية ٩٦) حيث قيل « يتعلَّمون منهما مايُفرّقون بهِ بين المرء وزوجهِ وما هم بضارّين بهِ من احد إلاّ باذن الله ويتعلَّمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم » ومرادهُ بالملاكين المشار اليهما هنا هما هاروت وماروت . غير ان القرآن انتحل ذِكر تعليم الملاكين للناس ايضاً مما ورد في (مدراش يَلكوت) كما رأينا مما تقدم في صحيفة ٦٨ حيث ذكر ان عزائيل استعان بالحلى المتنوعة وانواع زخرفات النساء المبهجة على اغواء واغراء بني آدم على اقتراف التجاوز

فما قلناهُ عن هاروت وماروت يجوز ان يكون برهاناً كافياً يؤيد انهذه القصة ايضاً هي مأخوذة من كتب اليهود

(٥) لنتكلم بالايجاز عن بعض القصص والرسوم التي انتحلها المسلمون من اليهود . اعلم ايها المطالع انهُ لولا ضيق المقام لاوردنا من القرآن قصصاً شتى وكان يسهل علينا النظر والبحث فيها

واقامة الدليل والبرهان على انها اذا لم تكن مطابقة لنصوص التوراة فهي موافقة للاوهام الباطلة التي الّفها كتبة الخرافات من اليهود

مثلاً اورد القرآن في قصص يوسف وداود وشاول (طالوت) اموراً شتى لم يرد لها ذكر في العهد القديم ولكنها وردت في خرافات اليهود . ومن هذا القبيل ما ورد في (سورة الاعراف ٧ الآية ١٧٠) «وإذ نتقنا الجبلَ فوقهم كأنهُ ظُلَّةٌ وظنوا أَنهُ واقعٌ بهم خذوا ماآتيناكُم بقوَّةٍ واذكروا مافيهِ لعلكم تتَّقون» وورد مثلهُ في (سورة البقرة ٢ الاية ٦٠ و٨٧) ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى شرع في اعطاء التوراة للاسرائيليين ولما رأى منهم عدم الميل والرضى بقبولها رفع او نتق جبل سينا فوقهم وامسكهُ على رؤوسهم ليوقع الرعب والفزع في افئدتهم . وقد وردت ايضاً هذه القصة في الكتاب اليهودي المسمى (عبوداه زاراه)[1] الفصل الثاني والقسم الثاني ونصها ــ قدسترتكم بالجبل كغطاء . ولا لزوم للتنبيه على ان مثل هذه الخرافة لا اثر لها في

---

(١) انظر الملحق (نمرة ١٥)

التوراة ولكن كان منشأ هذه القصة وَهْم وسوء فهم بعض المفسرين من اليهود فورد في (سفر الخروج ٣٢ الآية ١٩) بانهُ لما نزل موسى من الجبل ورأى ان الاسرائيليين كانوا يعبدون العجل الذي صنعوهُ حمي غضب موسى وطرح من يديه اللوحين من حجر اللذين كان منقوشاً فيهما العشر وصايا وكسرهما في اسفل الجبل فمن قوله تعالى في اسفل الجبل هو ان هذين اللوحين كسرا عند سفح الجبل وليس تحت الجبل ولكن لما كان اليهود الذين في الاعصر المتأخرة مولعين بالغرائب والعجائب لووا معنى الكلمات وصرفوها عن حقيقتها وابتدعوا الخرافة المتقدمة لتوضيح وتفسير هذه الكلمات. ومع ذلك ان هذه القصة تشبه بنوع عجيب قصة هندية وردت في جملة كتب سانسكريت بخصوص احد الهتهم الكاذبة الذي يسمى (كرشنه) وبيان ذلك انهم رووا ان هذا الاله في ذات يوم لما رغب ان يحفظ ويقي سكان مدينة مسقط رأسهِ ومنبت غرسهِ واسم هذه المدينة (كوكلة) من غوائل زوبعة امطار وابلة رفع جبلاً اسمهُ (كووَرْدْهَنَه) من قاعدتهِ الحجرية

وهو اعظم كل الجبال وعلّقهُ مدة سبعة ايام وسبع ليال باطراف اصابعهِ فوق رؤسهم كمظلة . ولا نعرف بالجزم واليقين اذا كان اليهود اخذوا هذه القصة من الهنود أم لا ولكن من الواضح البيِّن ان هذه القصة الواردة في القرآن هي نفس القصة الواردة في كتب اليهود

ويوجد ايضاً في القرآن غرائب بخصوص ما حصل في البرية في ايام موسى فمن هذه الغرائب قولهُ ان العجل الذهبي المشار اليهِ له خوار وانهُ خار لما أُخرج من أتون النار فورد في (سورة الاعراف ٧ الآية ١٤٧) وفي (سورة طه ٢٠ الآية ٩٠ و٩١) ما نصهُ « فكذلك ألقى السامريّ فأخرج لهم عجلاً جسداً لهُ خوار »

واصل هذه القصة موجود في كتاب (فِرْقي رَبّي ألعازار[1]) في الفصل الخامس والاربعين وهاك ترجمة اصل اقواله العبرية وهي « وهذا العجل خرج خائرًا فرآه الاسرائيليون وقال (رَبي يهوذاه) ان سمائيل كان مختفياً في داخله وكان يخور لغش

(١) انظر الملحق (نمر ١٦)

اسرائيل » (اه) ولا شك ان محمداً اخذ هذا النبأ من اليهود فهم من سؤ حظه غشّوه وخدعوه لانهم اختلقوا هذه الخرافة من عالم اوهامهم فانه لا اصل ولا اساس لها مطلقاً . وهنا لم يلتفت محمد ولم ينتبه الى لفظ اسم الشخص المذكور في هذه القصة اليهودية فسمّاهُ (بالسامِريّ) واعلم انهُ كثيراً ما وردت لفظة السامري في العهد الجديد ومرةً ايضاً في العهد القديم وكان اليهود يعتبرون السامريين اعداء لهم ويعتقدون انهم زاغوا عن سواء السبيل ولازموا الضلالة بسبب الخطاء والجهالة . ولكن بما ان مدينة السامرة لم تبنَ الا بعد وفاة موسى بنحو اربعمائة سنة فيتعذّر على عقولنا القاصرة ان نفهم كيف يمكن وجود الاسم قبل وجود مسمّاهُ . وعلى كل حال فلابدّ ان يكون محمد قصد ان يكتب السمائيل عوضاً عن السامري ولكن بما انه لم يدرِ ان اليهود يسمون ملاك الموت باسم سمائيل توهم ان هذا هو اسم الرجل الذي صنع العجل الذهبي كما هو واضح من منطوق القرآن . فالقرآن اذن مخالف للتوراة في هذه القضيّة ايضاً لان التوراة ذكرت بالنص الصريح ان هارون نفسهُ هو الذي

صنع العجل خوفاً من اليهود

ثم انما ذكر في (سورة البقرة ٢ الآية ٥٢) وفي (سورة النساء ٤ الآية ١٥٢) من ان بعض الاسرائيليين راوا الله فماتوا ثم بعثهم واحياهم ثانية هو ماخوذ من خرافات اليهود . لانه ورد في هذه الخرافات ان التوراة ذاتها توسلت لاجلهم فعادت ارواحهم الى اجسادهم بسبب هذا

(٦) في انتحالات اخرى . اعلم انه يوجد في القرآن كلمات عبرية وكلدية وسريانية عجز المفسرون المسلمون عن تفسيرها كما يجب لجهلهم بتلك اللغات . ومن هذه الكلمات ما ياتي ذكره (وقد ذكرنا في ذيل هذا الكتاب الصيغ الاصلية التي صغيت منها هذه الكلمات العبرية والكلدية والسريانية [١]) فمن ذلك تَوْرَاة . تابُوتٌ . جنـةُ عدنٍ . جهنمُ . حَـبرٌ . سكينةٌ . طاغوتٌ . فُرقان . ماعون . ملكوت وغيره . فمن اراد معرفة حقيقة معنى هـذه الكلمات القرآنية فعليهِ بمراجعة قواميس اللغات العبرية والكلدية والسريانية . ومن له المام تام بعلم صرف

---

(١) انظر الملحق نمره ١٧

اللغة العربية واشتقاقها لا يسعهُ الاّ الاقرار والاعتراف بان كثيراً من هذه الكلمات ليس اصله عربياً ولم تصغ من اصولها حسب قواعد اللغة العربية. مع ان هذه الاصول نفسها موجودة في العربية كما هي موجودة في اللغات الاخرى المذكورة

وانتحل القرآن من اليهود اموراً اخرى خلاف ما تقدم مثلاً ذكر في (سورة الاسرى ١٧ الآية ٤٦ و٨٨) انه يوجد سبع سموات وتكلم في (سورة الحجر ١٥ الآية ٤٤) عن سبعة ابواب لجهنم. وهذان الامران مأخوذان من كتابين من كتب اليهود احدهما يسمى حكيكاه باب ٩ وفصل ٢ وثانيهما ذَوهرْ فصل ٢ صحيفة ١٥٠ وذهب الهنود ايضاً الى انه توجد سبع دركات تحت الارض وسبع درجات فوقها وكل من هذين القسمين مستند على رأس من رؤوس ثعبان جسيم اسمه (شيشه) لهُ الف راس. فالمدوَّن في الكتب الهندية وفي الخرافات اليهودية وفي الاحاديث الاسلامية اصلهُ واحد مثلاً ان ما ورد في (عرائس المجالس من صحيفة ٥ الى ٩) عن سبع دركات الارض هو موجود في الكتاب المسمى (أوَستا) وهو كتاب

ديني لقدماء الفرس . يعني ورد في كتاب الفرس ان الارض تنتمل على سبع (كِشوَر) او سبعة اقاليم . وورد في احد ابواب الأوستا (يشت[1] باب ١٩ فصل ٣١) ان جمشيد استولى « على الارض التي تشتمل على سبعة اقاليم » انتهى

وزد على هذا ان ما ورد في (سورة هود ١١ الآية ٩) بخصوص عرش الله حيث قيل « كان عرشهُ على الماء » هو يطابق الروايات اليهودية المذكورة في تفسير احد مفسري اليهود المشهور باسم راشي[2] فانهُ قال في تفسيره على (تكوين ١ الآية ٢) ما نصهُ « ان العرش المجيد استقر في الهواء وحام على المياه »

وذهب المسلمون كما هو مشهور ان الله سبحانهُ وتعالى عيَّن على جهنم ملاكاً يسمى مالكاً فكذلك اليهود كثيراً ما يتكلمون في كتبهم القديمة على رئيس[3] جهنم غير ان المسلمين انتحلوا اسم هذا الملاك من عبدة اصنام فلسطين القدماء فانهم

---

(١) انظر الملحق (نمرة ١٨)
(٢) « « (نمرة ١٩)
(٣) « « (نمرة ٢٠)

كانوا يسمون احد المتهم الكاذبة الذي كان يترأس على النار (مولك) وهو اسم فاعل باللغة العبرية كما ان مالك هو اسم فاعل باللغة العربية

وورد في (سورة الاعراف ٧ الآية ٤٤) ان الاعراف هو موجود بين السماء وجهنم وهاك نص عبارة القرآن وهي « وبينهما حجابٌ وعلى الاعرافِ رجالٌ » وقد انتحل ذلك ايضاً من اليهود لانهُ ورد في كتاب مدراش[1] في تفسير الآية ١٤ من الاصحاح السابع من كتاب سفر الجامعة انهُ لما استفهم بعضهم « ما هي المسافة بينهما » اي بين السماء وجهنم اجاب (ربي يوحانان) قائلاً « انهُ بينهما حائط » وقال (ربي اخاه) « انها مسافة شبر » وقال الربانيون انهما متقاربان بحيث تنفذ اشعة النور من احدهما الى الآخر ومنشأ الوهم وجود الاعراف في كتاب (أوستا[2]) للزردوشتيين اي قدماء الفرس واسم الاعراف بلغتهم (مسوانوكاتس) (فركند ١٩) واسمهُ بلغة

---

(١) انظر الملحق (نمره ٢١)

(٢) « « (نمره ٢٢)

(پهلوي) (مسوت كاس) ومقتضى مذهب الزردوشتيين ايضاً ان المسافة بين السماء وجهنم قدر المسافة بين النور والظلمة

وورد في (سورة الحجر ١٥ الآية ١٧ و ٣٤) عن الشيطان الرجيم انهُ « استرقَ السمعَ » وكذلك ورد مثل هذا في (سورة الصافات ٣٧ الآية ٧) وفي (سورة الملك ٦٧ الآية ٥) واصل ذلك مأخوذ من خرافة من الخرافات اليهودية لانه ورد في الكتاب المسمى حكيكاه[1] (الباب السادس والفصل الاول) عن الشياطين انهم ينصتون من وراء حجاب ليطلعوا على الحوادث المستقبلة

وورد في (سورة ق ٥٠ الآية ٢٩) ما نصهُ « يوم نقولُ لجهنمَ هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد » وورد في الكتاب اليهودي المسمى (أوتيوت درَبي عقيباه[2]) مايطابق ذلك ونصهُ ان « رئيس جهنم يقول يوماً فيوماً اعطني طعاماً حتى استكفي »

وورد في (سورة هود ١١ الآية ٤٢) وكذلك في (سورة

---

(١) انظر الملحق (نمره ٢٣)

(٢) « « (نمرة ٢٤)

المؤمنين ٢٣ الآية ٢٧) انهُ في ايام طوفان نوح « فار التنور »
واصل هذا المعنى مأخوذ من كتابين من كتب اليهود احدهما
كتاب (رَوْش[1] هشاناه فصل ١٦ الآية ٢) وثانيهما رسالة
تسمى (سنهدرين[1] فصل ١٠٨) ونص عبارتيهما هو ان جيل
الطوفان دينوا بالماء المغلي »

(٧) وبخلاف كل ما ذكر فاعلم ان كثيراً من رسوم المسلمين
الدينية أُخذت من اليهود ومع ان ضيق المقام يمنعنا عن ايراد
كل هذه الرسوم مفصلة الاَّ انه يجب ان نورد رسمين او ثلاثة
من هذه الرسوم لاثبات وتأييد قولنا هذا . وقد رأينا مما تقدم
في صحيفة ٣١ ان صوم شهر رمضان ليس مطابقاً لعادة اليهود
بل انهُ مطابق غاية المطابقة لعادة الصابيين . غير ان محمداً انتحل
من اليهود شيئاً واحداً لهُ تعلق وارتباط بهذا الصيام وبيان ذلك
انهُ ورد في (سورة البقرة ٢ الآية ١٨٣) فقرة فيها امرٌ بخصوص
الاكل والشرب في الليل في شهر رمضان ونصها « كُلُوا واشربوا
حتى يتبيَّنَ لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الاسود من الفجر

(١) انظر الملحق (نمره ٢٥)

ثمّ أتمّوا الصيامَ »فورد في (مِشناه برَأخوت[١]) في الباب الاول فصل ثاني ان اول النهار هو الوقت « الذي يمكن للانسان ان يميز فيهِ بين الخيط الازرق من الخيط الابيض »

فهل حصل هذا الاتفاق القريب من التمام بين القرآن و بين هذا الكتاب اليهودي اتفاقاً . يعني هل هذا الاتفاق هو من قبيل توارد الخواطر ام كيف

جرت عادة المسلمين في جميع البلاد القاطنين فيها ان يؤدوا كل يوم الصلوات الخمس المفروضة عليهم في اوقاتها المقررة في اي محل يتفق ان يكونوا فيهِ متى وجبت الصلوة اي متى حل ميعادها سواء كانوا في بيوتهم او في الشوارع او في اي محل كانوا فيهِ . وفي الواقع ونفس الامر انهم يؤدون الصلوة في المحالّ المطروقة اي التي يكثر فيها مرور الناس بالمصلينّ واختصوا بهذه العادة الغير مستحسنة لان جميع الملل والنحل يستهجنونها وينكرونها . ولا شك ان اليهود الذين كانوا في بلاد العرب في عصر محمد اعتادوا على هذه العادة لان كثيرين منهم كانوا من

(١) انظر الملحق (نمره ٢٦)

ذرية الفرقة التي اسمها فريسيون التي كثيراً ما ذُكرت في الاربعة بشائر . فتناسلوا منهم تناسلاً طبيعياً ومن لم يتناسل منهم طبيعياً كانوا على مشربهم ومذهبهم . ففي الازمنة القديمة اخترعت هذه الطائفة هذه العادة لاجل انفسهم لانهُ ذكر في الانجيل الشريف ان أولئك المرائين [1] كانوا « يحبون ان يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس » (متى الاصحاح ٦ الآية ٥) ونعرف بالاستنتاج ان المسلمين اخذوها منهم وبيان ذلك بما ان اصحاب محمد سمعوهُ يقول ان اليهود هم اهل الكتاب وذرية ابرهيم الخليل نسجوا على منوالهم واقتدوا بمثالهم متوهمين ان هذه العادة ايضاً اخذها اولئك عن ابرهيم فلذا اقتفوا أثرهم فيها

ومن الغرائب ان القرآن مع انهُ قال كثيراً ان سبب نزولهِ هو التصديق على الكتب اليهودية المقدسة الاّ انهُ اقتبس صريحاً آية واحدة منها وهذه الآية هي في (سورة الانبياء ٢١ الآية ١٠٥) وهي هذه « ولقد كتبنا في الزبور من بعدِ الذكر أنَّ

(١) انظر الملحق (نمرة ٢٧)

الارضَ يرثها عبادي الصالحون» ان وعدالله المذكور في الزبور الذي استشهد بهِ القرآن هو مكتوب في (مزمور ٣٧ الآية ١١)
« اما الودعاء فيرثون الارض[١] »

ويناسب ايضاً الآن ان نشير الى امرين آخرين اخذهما وانتحلهما المسلمون من اليهود فنقول. ذهب كل المسلمون الى ان القرآن كُتِب في اللوح المحفوظ قبل انشاء العالم وذُكر هذا اللوح كما رأينا في صحيفة ١٠ في (سورة البروج ٨٥ الآية ٢١ و ٢٢) ونص العبارة هو « بل هو قرآنٌ مجيد في لوح محفوظٍ » وقبل الخوض في الكلام على اللوح المحفوظ ينبغي ان نسأل علماء الاسلام هل كان الزبور ايضاً وُجد قبل القرآن املا. وهل هو اقدم منهُ عهداً واسبق زمناً ام لا. لانهُ ذكر في الآية التي اوردناها من سورة الانبياء ان ما اشتملت عليهِ هذه الآية بخصوص ميراث عباد الله الصالحين كُتب قبلاً بامر الله في الزبور .ومما يؤيد هذا هو القاعدة المصطلح عليها وهي.اننا اذا عثرنا مثلاً في كلام (مثنوي مولانا الرومي) على شطرة من

(١) انظر الملحق (نمرة ٢٨)

بيت شعر ضمنها بعض عبارات مقتبسة من كتاب شاه نامه مثلاً او من عبارات القرآن جزمنا جزماً اكيداً لا يتزعزع ولا يزول بزوال المشكك على ان الشاه نامه او القرآن (كما يتفق ان يكون الحال) متقدم على تأليف مثنوي وله السبق عليهِ في الزمان. وعلى هذا القياس نقول متى رأينا في القرآن ذاتهِ جزءًا من آية من آيات مزامير داود النبي يتضح لنا جلياً انهُ لم يكن للقرآن وجود قبل ايام النبي الذي أوحي اليهِ الزبور. ولكن اذا اخذنا في البحث والتحرّي عن معلومات المسلمين التي استفادوها من احاديثهم بخصوص اللوح المحفوظ وجدنا هذه البيانات في مثل هذه الكتب وهي قصص الانبياء صحيفة ٣ و ٤ ونصها « ومن تحت العرش خلق (الله) لؤلؤة ومن تلك اللؤلؤة خلق اللوح المحفوظ وارتفاعهُ سفر سبعماية سنة وعرضهُ سفر ثلثماية سنة وكان مرصعاً بالياقوت الاحمر ثم بقوة الله تعالى ثم صدر الامر الى القلم أكتب علمي في خلقي وما هو كائن الى يوم القيامة — كتب اولاً في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم انا الله لا الهَ الاَّ انا من استسلم لقضائي ويصبر على بلائي ويشكر على نعمائي كتبتهُ

و بعثتهُ مع الصديقين ومن لم يرضَ بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليطلب ربًا سوائي ويخرج من تحت سمائي ثم كتب القلم علم الله في خلق الله تعالى كل شيء ارادهُ الى يوم البعث حتى مقدار تحريك ورقة الشجرة او نزولها او صعودها وكتب كل شيء مثل هذا بقوة الله تعالى »

واصل هذه القصة موجود في كتب اليهود غير ان المسلمين توسَّعوا و بالغوا فيما كتبهُ اليهود في هذا الصدد . واعلم انهُ وردفي في توراة موسى انهُ لما اراد الله ان يسلم للاسرائيليين العشر الوصايا الوارد نصها في الاصحاح العشرين من سفر الخروج سلَّمها لموسى بالكيفية التي اوردها موسى كليم الله في (سفر التثنية الاصحاح ١٠ الآية ١–٥) «في ذلك الوقت قال لي الرب انحت لك لوحين من حجر مثل الاولين واصعد اليَّ الى الجبل واصنع لك تابوتاً من خشب فاكتب على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الاولين اللذين كسرتهما وتضعهما في التابوت فصنعت تابوتاً من خشب السنط ونحتُّ لوحين من حجر مثل الاولين وصعدت الى الجبل واللوحان في يدي فكتب

على اللوحين مثل الكتابة الاولى الكلمات العشر التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع واعطاني الرب اياها ثم انصرفت ونزلت من الجبل ووضعت اللوحين في التابوت الذي صنعت فكانا هناك كما امرني الرب »

وورد في (سفر الملوك الاول الاصحاح ٨ الآية ٩) وكذلك ورد في (رسالة بولس الرسول الى العبرانيين الاصحاح ٩ الآية ٣ و ٤) ان هذين اللوحين حُفظا في تابوت العهد الذي صنعهُ موسى حسب امر الله . وهذا هو معنى اللوح المحفوظ او بالحري معنى اللوحين المحفوظين . ومما يجب التنبيه عليهِ هو انهُ ورد في (سورة البروج ٨٥ الآية ٢١ و٢٢) ما نصهُ « بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ » ولم يقل في « اللوح المحفوظ » بل وردت لفظة لوح منكرة بدون اداة التعريف فمن الواضح البيّن انهُ لم يكن مراد المؤلف من قولهِ ان القرآن كتب على لوح محفوظٍ انهُ كتب على اللوح الواحد المحفوظ بل يفهم من عبارتهِ انهُ لا بد من وجود لوح آخر اقل ما يكون . فاذا قيل لماذا ذهب محمد الى ان القرآن كُتب على لوح محفوظ قلنا يلزم

لفهم هذا القول حق الفهم البحث والتحري في الكتب اليهودية لننظر ما قالهُ اليهود في عصر محمد وقبلهِ عما كُتب في اللوحين اللذين حُفظا في تابوت العهد . ومع ان التوراة اوضحت كما رأينا بالايضاح التام النافي للشك والابهام ان ما كُتب على اللوحين كان الوصايا العشر (تثنية الاصحاح ١٠ الآية ٤) او العشر الكلمات كما ورد باللغة العبرية . الاَّ ان اليهود توهموا بعد مدة من الزمان ان جميع كتب العهد القديم وايضاً كل التلمود كُتبَ عليهما او اقل ما يكون نزلت معهما . ولما سمع محمد من اليهود هذا القول عن شريعتهم حذا حذوهم ونحا نحوهم ونسب ايضاً لشريعتهِ ما نسبهُ اليهود لشريعتهم . يعني انهُ ذهب الى ان القرآن كان مكتوباً في لوح من اللوحين المحفوظين او كما قال في سورة البروج « في لوحٍ محفوظٍ » ولما كان المسلمون لا يعرفون معنى قولهِ (لوح محفوظ) ولا ما المراد من ذلك ابتدعوا واختلقوا بالتدريج كل هذه القصة التي تقدم ذكرها . وهاك ما قالهُ اليهود عما اشتمل عليهِ هذان اللوحان . «قال (ربي شمعون بن لاقيش) ما الذي كُتب اي فاعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية

التي كتبتها لتعلمهم . (خروج الاصحاح ٢٤ الآية ١٢) . اللوحان هما العشر الوصايا والتوراة هي التي تتلى والوصية هي المشناة والتي كتبتها هي الانبياء والكتب ولتعلمهم الجمارا . ويستفاد من هذا انهُ أوحي جميعها لموسى من جبل سينا »

وكل يهودي نبيه يرى وجوب رفض تفسير هذه الآية الباطل وشرحها العاطل لانهُ يعرف ان كتاب المشناه أُلّف نحو سنة ٢٢٠ بعد التاريخ المسيحي وأُلّف الجمارا الاورشليمي نحو سنة ٤٣٠ ب . م . وأُلّف الجمارا البابلي نحو سنة ٥٣٠ بعد التاريخ المسيحي ايضاً . ولكن لما كان المسلمون يجهلون هذا قبلوا ما قالهُ جهلة اليهود وطبقوهُ على قرآنهم . فنرى من هذا ان هذه الرواية هي مأخوذة ايضاً من هذا المصدر المكدر المعكر كغيره من الروايات والقصص المدونة في الاحاديث

ولا لزوم لتصديع خاطر المطالع بذكر امور اخرى من هذا القبيل غير ما تقدم وانما يجب التنبيه على ان المسلمين لا يعتقدون وحدهم بان لوحهم المحفوظ كان قديماً بل ان اليهود يتوهمون ايضاً ان اللوحين المشتملين على العشر وصايا كانا قديمين

جداً . فورد في فِرقى أبوْت (الباب الخامس والفصل السادس) ان هذين اللوحين مع تسعة اشياء اخرى خلقت وقت خلق الدنيا وقت غروب الشمس قبل يوم السبت

واصل ما ورد في الاحاديث الاسلامية عن جبل قاف الذي لا وجود لهُ الا في الوهم والخيال هو الكتب اليهودية فاخذهُ المسلمون منها ونقلوهُ عنها . والبرهان على ذلك اننا اذا قارنا بين ما ورد في عرائس المجالس وقصص الانبياء وبين ما يقولهُ اليهود نجد الامرين واحداً . فورد في عرائس المجالس مانصهُ « خلق الله تعالي جبلاً عظيماً من زبرجدة خضراء خضرةُ السماء منهُ يقال لهُ جبل قاف فاحاط بها كلها (اي كل الارض) وهو الذي اقسم الله بهِ فقال ق والقرآن المجيد (سورة ق اي السورة ٥٠ الآية ١) » انظر عرائس المجالس (صحيفة ٧ و ٨) وورد في قصص الانبياء (صحيفة ٥) فذكر ان عبد الله بن سلام استفهم من محمد (قائلاً) « ما هي اعلى قمّة في الارض . قال هي جبل قاف . فقال جبل قاف مما هو . فقال من زمرد اخضر وخضرة السماء هي منهُ . قال صدقت يارسول الله . قال

ما هو ارتفاع جبل قاف . فقال انهُ سفر خمسماية سنة . وقال كم هي المـدة التي يقطع الانسان فيها محيطهُ . فقال انها سفر الفي سنة » . اه

فأصل حكاية وجود جبل قاف هو ما قالهُ احد كتب اليهود المسمى حكيكاه (الباب الحادي عشر والفصل الاول) في تفسير وشرح الكلمة العبرية (تَوْهُو) النادرة الاستعمال التي التي معناها الفضاء والفراغ الواردة في (تكوين الاصحاح ١ الآية ٢) فوردت هذه الفقرة من كتاب حكيكاه[1] نصهَّ « توهو هو الخط الاخضر المحيط بجميع العالم قاطبة ومنهُ تنبعث الظلمة » فاللفظة العبرية التي ترجمناها بالخط هي (قاو) . ولما سمع الصحابة اي اصحاب محمد هذه اللفظة وهي (قَاوْ) لم يعرفوا ان معناها خط وبناءً على ذلك توهموا ان الشيء الذي قالوا عنهُ انهُ يحيط بالعالم كلهُ ومنهُ تنبعث الظلمة في الليل لا بد ان يكون سلسلة جبال عظيمة اسمها (قاف) ولا لزوم لان نقول بان الجغرافيين اي الذين يبحثون في الكرة الارضية وفي اقطارها جابوا اطراف

---

(١) انظر الملحق (نمره ٣٠)

الدنيا باكنافها للاكتشاف ولم يكتشفوا سلسلة جبال يصدق عليها الوصف الوارد في الاحاديث عن جبل قاف

ونختم كلامنا بهذه العبارة وهي • يتضح مما قيل في هذا الفصل صدق ما ذهب اليهِ المعترضون من ان كتب اليهود ولا سيما كتاب التلمود المشحون بالخرافات هي اهم مصادر الديانة الاسلامية . واذ تقرر ذلك ناسب ان نبحث ونتحرّى ثانية في المصادر الاخرى لهذه الديانة ونتظر اذا كانت الديانة الاسلامية انتحلت باقي اقوالها ايضاً من الديانة المسيحية ولاسيما من الكتب المفتعلة الملفّقة والخرافات الباطلة التي كانت متواترة في عصر محمد بين بعض الفرق المسيحية الضالة واصحاب البدع العاطلة

(تم الفصل الثالث)

الفصل الرابع

في النظر والبحث فيما ذهب اليهِ البعض من ان كثيرًا مما ورد في القرآن هو مأخوذ من حكايات وروايات بعض فرق النصارى المبتدعة العاطلة وارائهم الباطلة

لا يخفى انهُ في عصر محمد كان كثيرون من النصارى القاطنين في بلاد العرب منغمسين في الجهالة وليس ذلك فقط بل كانوا ايضاً واقعين في البدع والضلالة . ولما طُرد كثير من هؤلاء المبتدعين الضالين من حدود مملكة قيصر الروم بسبب تعاليمهم الفاسدة وارائهم الكاسدة التجأوا الى بلاد العرب . ولما لم يكن لهؤلاء المبتدعين معرفة كثيرة بالانجيل وكتب الحواريين تداولوا بعض كتب ملفقة موضوعة ملآنة من الخرافات التي لا اصل لها واعتادوا على تلاوتها وقراءتها وكانوا يروون القصص المدونة فيها ويتناقلونها . فقال المزيفون لدين الاسلام بما ان محمداً لم يكن

له المام تام بالانجيل الشريف واختلط مع اصحاب هذه البدع بالمعاشرة والمسامرة والمحاورة توهم ان ما سمعهُ منهم كان مدوناً في الانجيل او في رسائل الحواريين . وبما انهُ وجَّهَ انظارهُ الى احداث دين ومذهب بحيث يدين بهِ جميع سكان بلادالعرب ويتحدون بواسطتهِ ويصيرون جماعة واحدة فلهذا قَبِلَ كثيراً من خرافات جهلةالنصارى وارائهم ومذاهبهم الفاسدة واوهامهم الكاسدة وادخلها في قرآنهِ . وبما انهُ لا يصح تصديق رأي المعترضين بدون النظر والفحص فمقصودنا ان نتحرَّى بالتدقيق هذه القضية ونمعن النظر فيها في هذا الفصل لننظر اذا كان مثل هذه الخرافات التي اشرنا اليها هي احد مصادر الاسلام ام لا :

(١) قصة اصحاب الكهف التي يسميها المسيحيون السبعة نيام

لا يخفى ان قصة اصحاب الكهف الوارد ذكرها في (سورة الكهف ٨ الآية ٢٦) هي خرافة من خرافات اليونان الواردة في كتاب لاتيني اسمهُ (مجد الشهداء) تأليف غريغوريوس (الكتاب الاول فصل ٩٥) وفحوى هذه القصة هو ما يأتي لما كان (دكيوس) امبراطور رومة ينفث الاضطهاد على

المسيحيين بغاية القسوة والتوحش ويجرعهم غصص جوره وظلمهِ غاية ما في وسعهِ ليمحو حتى اسم المسيحيين من صفحات اذهان الناس فرّ سبعة شبان من سكان مدينة افسس (التي لا تزال اثارها واطلالها باقية لغاية الآن بجوار المدينة التي اسمها آيا سلوك في بر الاناضول) ونجوا من ظلمهِ وجوره واختبأوا في كهف قريب من تلك المدينة فناموا نحو ٢٠٠ سنة تقريباً لانهم دخلوا الكهف في عهد دقيانوس (دَكيوس) (بين سنة ٢٤٩ و ٢٥١ مسيحية) ولم يخرجوا منهُ ثانية الاّ في سنة ٤٤٧ وكان الملك تيودوسيوس الثاني مستولياً على هذه السلطنة وقت خروجهم ولما استيقظوا ورأوا ان الديانة المسيحية انتشرت انتشاراً عظيماً في تلك المدة اندهلوا غاية الاندهال لانهم لما ناموا كان الناس يعتبرون الصليب علامة الاحتقار والعار والشنار ولما استيقظوا رأوا الصليب يتلألأ على تاج الامبراطور وعلى الوية مماكتهِ تقريباً وان جميع رعايا المملكة الرومانية دانوا بالديانة المسيحية وان هذه الديانة تغلبت على كل ديانة اخرى في جميع انحاء الدنيا قاطبة أو انها كادت ان تزيل غيرها من سائر الاديان

ولا شك ان قصة السبعة نيام هي مجرد خرافة ولكن ذهب بعض ذوي العقول الوقادة والافكار النقادة ان هذه الحكاية لاتخلو من حكمة وفائدة ولم يقصد واضع هذه الرواية اضلال الناس وغشهم بل بالعكس اوردها على سبيل المجاز والكناية وغايتهُ منها ان يظهر للمطالع انتشار الديانة المسيحية بسرعة عجيبة بنعمة الروح القدس وبسفك دماء الشهداء المحبين الابطال . اذ لا يحتمل ان مسيحياً من المسيحيين يتوهم حصول هذه القصة حرفياً بل بالعكس ان جميع المسيحيين يعتقدون انها خرافة من الخرافات العجائزية التي تقصها وتحكيها العجائز للاطفال لتسليتهم وانشراحهم كحكاية القط والفار وحكاية حسين الكردي وحكاية الغول وغيره . غير ان محمداً اتخذها وأوردها في قرآنهِ وعلَّمها لصحابتهِ كأنها حكاية حقيقية ولكن بما انهُ لااصل ولا اساس حقيقي لهذه القصة فمن الواضح ان المولى القدوس العالم بكل شيء لم يكتبها في اللوح المحفوظ ولم ينزلها على محمد بل بالعكس قد تبرهن ان محمداً اتخذها من روايات بعض جهلة النصارى

(٢) قصة مريم ورد في (سورة مريم ١٩ الآية ٢٨ و ٢٩) ان مريم اتت الى قومها بعد ولادة ابنها المبارك فقالوا لها « يامريم لقد جئتِ شيئاً فرياً يا أخت هرون ماكان ابوكِ امرءَ سوءٍ وماكانت امك بغياً » فيتضح من هذه الآية ان محمداً كان يرى ان مريم كانت اخت هارون اخي موسى وما يزيد هذا الامر وضوحاً وجلاءً ما ورد في (سورة التحريم ٦٦ الآية ١٢) ما نصهُ «ومريم ابنة عمران » وهكذا مذكور ايضاً في (سورة آل عمران ٣ الآية ٣١) وفي (سورة الفرقان ٢٥ الآية ٣٧) ونصهُ « ولقد آتينا موسى الكتابَ وجعلنا معهُ أخاهُ هرون وزيراً » فثبت من ذلك ان عمران وموسى وهارون ومريم هم ذات الاشخاص الذين ورد ذكرهم بهذه الاسماء في خمسة اسفار موسى . غاية الامر انهُ ورد في التوراة عمرام عوضاً عن عمران وورد في (سفر العدد الاصحاح ٢٦ الآية ٥٩) ما نصهُ « واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي التي وُلدت للاوي في مصر فولدت لعمرام هرون وموسى ومريم اختهما » وورد في سفر الخروج ايضاً (الاصحاح ١٥ الآية ٢٠) ان « مريم النبيّة » كانت « اخت هارون »

كما رأينا في سورة مريم حيث قيل « يا مريمُ . . . . يا اخت هارون » فلا شك ان محمداً ذهب الى ان مريم اخت هارون التي كانت ايضاً ابنة عمرام (اي عمران) هي ذات مريم التي صارت ام يسوع (المسيح عيسى) بعد ذلك بنحو الف وخمسماية وسبعين سنة وهذا القول يشبه الرواية الواردة في الشاهنامة بخصوص فَريدُون واختي جمشيد فانه ذكر فيها انهُ بعد ان هزم فريدونُ الضحَّاكَ واستولى على بيت ذلك الجبار العاتي وجد فيهِ اختي جمشيد اللتين اقامتا في بيت الضحاك من اوائل حكم الضحاك نحو الف سنة تقريباً من قبل ذلك . وانهُ لما راهما فريدونُ راعه جمالهما الى آخر تلك الحكاية . نعم ان بعض المفسرين المسلمين حاولوا تفنيد هذا البرهان الذي أُقيم لتزييف القرآن ولكنهم عجزوا عن ذلك لانهم لم يجدوا الى ذلك سبيلاً وربما كان سبب هذا الغلط انهُ ورد في احدى خرافات اليهود كلام بخصوص مريم اخت هارون نصهُ « ان ملاك الموت لم يتسلطن عليها بل ماتت بقُبلة الهيَّة ولم يتسلط عليها الدود ولا الحشرات » (انتهى) وعلى كل حال فهذا خطأ جسيم لانهُ

لم يقل احد من اليهود ان مريم هذه بقيت على قيد الحيوة الى ايام المسيح

وقد ورد في القرآن اشياء كثيرة بخصوص مريم والدة يسوع (المسيح عيسى) مخالفة لما ورد في الاربعة اناجيل الحقة الصحيحة لان روايات القرآن مأخوذة من خرافات اصحاب البدع والضلالة كما يتضح مما يأتي في ما يأتي في هذا الكتاب

فورد في القرآن عن قصة مريم ما نصهُ « إِذْ قَالَتِ أُمرَأَةُ عِمْرانَ رَبِّ إِني نَذَرْتُ لكَ ما في بَطني مُحرّراً فَتقبَلْ مني إِنَكَ أنتَ السميعُ العليمُ فلما وضعتها قالتْ ربِّ إِني وضعتها أُنثى واللهُ أعلم بما وضعتْ وليْسَ الذكرُ كالأنثى وإِني سميتها مريمَ واني أُعيذُها بكَ وذُريتَها من الشيطانِ الرَّجيم فتقبلَها ربُّها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكريَّا كلما دَخل عَليها زكريا المحرابَ وجدَ عندها رزقاً قال يا مريمُ أنّى لكِ هذا قالت هو منْ عند الله إِنّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يشآءُ بغيرِ حسابٍ » (سورة آل عمران ٣ الآية ٣١ و ٣٢)

وما عدا كل هذا قال البيضاوي وغيره من المفسرين ان

امرأة عمران كانت عاقراً عجوزاً ولما يوماً ما رأت طيراً يزقُّ فرخه فحنَّت الى الذرية وتوسلت لله ان يرزقها ولداً وقالت اللهمَّ ان رزقتني ولداً ذكراً او انثى فاقدمهُ كهبة في حضرتك لبيت المقدس فاجاب المولى طلبها فحملت وولدت بنتاً هي مريم . وقال جلال الدين بعد مضي سنين حملت ام مريم وكان اسمها حنة فاتت بابنتها الى المسجد وسلمتها الى الاحبار سدَنة بيت المقدس فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها بنت إمامهم . فاخذها زكريا وبنى لها غرفة في المسجد بسلَّم لا يصعد عليهِ غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فان ملاكاً كان يأتيها باكلها . ثم ورد في هذه السورة ما نصه ـ « واذ قالت الملائكة يا مريمُ ان اللهَ اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين يا مريمُ اقنُتي لربكِ واسجدي واركعي مع الراكعين . ذلك من أنباء الغيب نوحيهِ اليكَ وما كنتَ لديهم اذ يُلقون اقلامَهم أيهم يكفل مريمَ وما كنتَ لديهم اذ يختصمون . اذ قالت الملائكة يا مريم ان اللهَ يبشركِ بكلمة منهُ اسمهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ وجيهاً

في الدنيا والآخرةِ ومن المقرَّبين. ويكلّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً ومن الصالحين قالت ربي أنَّى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشرٌ قال كذلك اللهُ يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول لهُ كن فيكون » (سورة آل عمران ٣ الآية ٣٧ ـ ٤٢) اما من جهة ما ورد بخصوص الاقتراح والقاء الاقلام فقال البيضاوي والجلالين انهُ لما تنافست الاحبار قال زكريا انا احق بها فقالوا لا حتى نقترع فانطلق زكريا وستة وعشرون الى نهر الاردن والقوا اقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمهُ في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فاخذ مريم وتكفل بها فورد في (سورة مريم ١٩ الآية ١٦ ـ ٣١) ما نصه

« واذكرْ في الكتابِ مريمَ اذِ انتبذتْ من أهلها مكاناً شرقياًّ . فاتخذتْ من دونهم حجاباً فارسلنا اليها روحَنا فتمثَّل لها بشراً سوياًّ . قالت إني اعوذ بالرَّحمن منك ان كنتَ تقياًّ . قال إنما أنا رسولُ ربكِ لأَهبَ لكِ غُلاماً زكياًّ قالت أنَّى يكونُ لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغياًّ . قال كذلك قال ربكِ هو عليَّ هينٌ ولنجعلهُ آيةً للناسِ ورحمةً منا وكان امراً مقضياًّ

فحملتهُ فانتبذتْ بهِ مكاناً قصياً فاجأها المخاضُ الى جذعِ النخلة قالتْ يا ليتني متُّ قبلَ هذا وكنتُ نسياً منسياً فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربكِ تحتكِ سريّاً وهزّي اليك بجذع النخلةِ تساقط عليكِ رُطباً جنيّاً فكلي واشربي وقرّي عيناً فإما ترينَّ من البشر أحداً فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلمَ اليومَ إنسيّاً . فأتت بهِ قومها تحملهُ قالوا يا مريمُ لقد جئتِ شيئاً فريّاً يا أختَ هارونَ ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ وما كانت أُمكِ بغيّاً فأشارتْ اليهِ قالوا كيف نكلّمُ مَنْ كان في المهدِ صبيّاً قال إني عبدُ اللهِ اتاني الكتابَ وجعلني نبيّاً » (سورة مريم ١٩ الآية ١٦ — ٣١) فهذه هي قصة مريم حسب ورودها في القرآن وفي كتب اقدم المفسرين عليها

ويجب علينا الآن ان ننظر في مصدر واصل هذه القصة فنقول . قال المحققون المدققون ان كل هذه الامور تقريباً لم تؤخذ من الاناجيل القانونية الصادقة الصحيحة بل أُخذت من كتب الخرافات التي كانت متداولة في الازمنة القديمة بين اصحاب البدع والجهلة . وبما اننا لا نقبل قولاً بدون بينات كافية

وبراهين شافية وجب علينا ان نصغي ونمعن النظر والفكر في الادلة التي يقيمونها لاثبات قولهم هذا وهاك هي

ورد في كتاب اسمهُ (پرُوت يُوأنجليُون[1]) ليعقوب الصغير الاصحاح الثالث والرابع والخامس «فرفعت حنة عينيها الى السماء فرأت عشّ عصافير في شجرة غار فتنهدت قائلة يا أُحاح أُحاح مَنْ ولدني اح اح . . . ومَنْ أُشبه فلستُ مثل طيور السماء لان طيور السماء ايضاً هي ذات ثمار امامك يا رب . . . . واذا بملاك الرب وقف بجانبها قائلاً لها ياحنة ياحنة ان الرب الاله استجاب طلبانك فستحبلين وتلدين ويذاع صيت نسلك في جميع انحاء العالم فقالت حنة حيٌّ هو الرب الهي اذا وَلدتُ ولداً ذكراً كان او انثى نذرته للرب الهي وسيخدمهُ طول ايام حياته . . . وتمت اشهرها وولدت حنة في الشهر التاسع . . . وارضعت الطفلة وسمتها مريم » (انتهى)

وورد في كتاب عربي تافه يسمى قصة نياحة ابينا القديس الشيخ النجار الفصل الثالث بخصوص مريم ما نصهُ

(١) انظر الملحق (نمرة ٣٢)

« ابهاتها قدموها الى الهيكل وهي ابنة ثلث سنين واقامت في هيكل الرب تسع سنين . حينئذٍ لما رأى الكهنة العذراء القديسة الخائفة من الرب قد نشأت خاطبوا بعضهم بعضاً قائلين سل عن رجل صديق يخاف من الله لتودعوا عنده مريم الى زمان العرس لئلا تبقى في الهيكل »

ولكن قبل ذلك لما أحضر والدا مريم ابنتهما الى الهيكل حصلت بعض اشياء اخرى وسردها في سياق القصة في (البرُوت يوأنجليئُون[1]) في الاصحاح السابع والثامن والتاسع والحادي عشر ونصها

« ان الكاهن قبلها وقبّلها وباركها قائلاً ان الرب الاله عظّم اسمكِ بين جميع اجيال الارض وعليكِ في آخر الايام يعلن الرب الاله فداء بني اسرائيل . . . ورُبيت مريم كحمامة في هيكل الرب وكانت تتناول الاكل من يد ملاكٍ اثنتي عشرة سنة من العمر . التأم مجلس الكهنة فقالوا اذا بلغت مريم اثنتي عشرة سنة من العمر في هيكل الرب فما الذي يجب فعلهُ بها . . .

(١) انظر الملحق (نمره ٣٢)

فوقف ملاك الرب بجانب زكريا وقال له يا زكريا أخرج واجمع ارامل القوم وليأت كل واحد بقلم ومن يريه الرب الاله علامة تكون زوجة لهُ فخرج المنادون في جميع نواحي اليهودية و بوّقوا ببوق الله فاتى الجميع مسرعين فالقى ذات يوسف قدومه ايضاً وولج في المجلس ولما اجتمعوا توجهوا الى الكاهن فاخذ الكاهن اقلام الجميع ودخل الهيكل وصلى ولما تمت صلاته خرج وردّ لكل واحد قلمهُ فلم تظهر علامة فيها غير ان يوسف اخذ القلم الاخير فخرجت من القلم حمامة وطارت على رأس يوسف . . . فقال له الكاهن صار لك حق بواسطة القرعة ان تتخذ عذراء الرب فخذها وديعة عندك . . . ولما كان يوسف منزعجاً اخذها وديعة عنده . . . فاخذت مريم جرّةً وخرجت لتملأها ماء واذا بصوت قائل السلام لك ايتها المنعم عليها الرب معك مباركة انت في النساء. فاخذت تلتفت يميناً و يساراً لترى من أين اتى هذا الصوت ولما انزعجت توجهت الى بيتها ولما وضعت الجرّة . . . جلست على الكرسي . . . واذا بملاك الرب وقف بجانبها وقال لها لا تخافي يامريم لانك وجدتِ نعمة امام الله وستحبلين بكلمتهِ

ولما سمعت هذا قالت مريم في نفسها هل احبل كما تلد كل إمرأة فقال لها الملاك ليس كذلك يا مريم لان قوة العلي تظللك فلذلك ايضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله وتسمينه يسوع » انتهى

وتبين من آخر هذه القصة ان كلمات الملاك هذه هي مأخوذة من انجيل لوقا (الاصحاح ١ الآية ٢٨ ـ ٣٥) لكن بقية الحكاية لا اصل ولا صحة لها . واعلم ان قصة اقامة مريم في هيكل الله هي واردة في كتب اخرى المفتعلة الموضوعة ايضاً ولا سيما في بعض المؤلفات القبطية فورد مثلاً في الكتاب القبطي المسمى سيرة " العذراء انه لما وضعت حنة ابنتها مريم في الهيكل « كانت ترزق في الهيكل كحمامة وكانوا يأتون اليها برزقها من السماء بواسطة ملائكة الله ولما كانت تسجد في الهيكل كانت ملائكة الله يخدمونها وكثيراً ما حدث انهم كانوا يأتون لها باثمار من شجرة الحيوة فكانت تأكلها بانشراح » (انتهى) وورد ايضاً في كتاب قبطي يسمي (حكاية رحلة يوسف)

---

(١) انظر الملحق (نمره ٣٣)

ما نصهُ « ان مريم . . . كانت تقيم في الهيكل وتعبد الله هنا بطهارة النية وكانت تنمو الى ان بلغت سن الاثنتي عشرة سنة فاقامت في بيت والديها مدة ثلاث سنين وفي هيكل الرب تسع سنين ايضاً. ثم لما رأت الكهنة ان تلك العذراء اشتهرت بالعفاف ولم تزل خائفة الرب تشاوروا بعضهم مع بعض قائلين لنفتش على رجل صالح لتكون خطيبة له الى ان يحل وقت عرسها . . . ودعوا فوراً سبط يهوذا واختاروا منهم اثني عشر رجلاً بحسب عدد اسباط بني اسرائيل الاثني عشر فوقعت القرعة على يوسف ذلك الرجل الشيخ الصالح » انتهى

وبعد ذلك لما حبلت مريم احضروها مع يوسف امام الكاهن واشتكوها . وورد في (البروت يُوأنجليئون[1]) الفصل الخامس عشر ما نصه

« فقال الكاهن يا مريم لماذا فعلتِ ذلك وثلمتِ عرضك انتِ نسيتِ الرب الهك مع انك تربيتِ في قدس الاقداس وكنتِ تتناولين الطعام من يد الملاك وكنتِ تسمعين الترنيمات

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٣٤)

(الالهية) . . . لماذا فعلتِ هذا فبكت بشدة وقالت حيٌّ هو الرب انني طاهرة امامهُ ولا اعرف رجلاً » انتهى

ثم ذَكَرَ ان يوسف ومريم خرجا من الناصرة الى بيت لحم ولم يجدا محلاً في الخان فاقاما في مغارة حيث ولد فيها يسوع (المسيح عيسى) كما ذُكر في الاصحاح الثامن عشر من ذلك الكتاب [1] وهاك نص عبارته وهي

« ان (يوسف) وجد مغارةً وادخلها فيها . . . . . وانا يوسف . . . . . شخصتُ بعيني الى السماء فرأيت قبة السماء واقفةً وطيور السماء ترتعد . ثم نظرت الى الارض فرأيتُ قصعة موضوعةً والعملة جالسين وايديهم في القصعة فالذين كانوا يتناولون الطعام لم يتناولوه والذين كانوا يضعونهُ في افمامهم لم يضعوه بل كانت وجوه جميعهم مرتفعة الى فوق ورأيت غنماً مُساقة وكانت الغنم قد وقفت فرفع الراعي (يدَه) ليضربها فوقفت يده مرفوعة ثم حوَّلت نظري الى مجرى ماء فرأيتُ بعض الجداء وكانت افمامها مرتفعة فوق الماء ولم

---

(١) انظر الملحق (نمره ٣٥)

تشرب فنظرت ان كل شيء كان في غاية الدهشة » ـ (انتهى)
(واعلم ان هذه الخرافة هي اصل القصة الواردة في روضة الاحباب عن الغرائب والعجائب التي يقال انها حصلت عند مولد محمد)

وربما يردّ بعض علماء المسلمين على هذه الادلة التي يوردها المعترضون لتأييد اقوالهم قائلين ان هذا هو برهان على صحة النبأ الوارد في القرآن بخصوص مريم لاننا نعلم الان ان كثيراً من كتب المسيحيين القديمة المشابهة لهذه الكتب تؤيد ما اوردهُ القرآن في هذا الصدد . قلنا لا يخفى على العاقل النبيه انهُ يلزم قبل الاعتماد على شهادة شاهد البحث على صفاتهِ وخلالهِ وعلى صحة وضبط اقوالهِ . فمن الواضح البين اننا اذا جرينا في كتب البدع هذه بموجب هذه القاعدة وهذا القياس انهارت دعائم بنائها وشهادتها وسببهُ انها اولاً لا يركن ولا يعتمد عليها وثانياً انها ليست قديمة جداً فان النصوص الواردة في الاناجيل القانونية الصحيحة اقدم منها عهداً جداً وثالثاً لم يعتمد ولن يعتمد عليها احد من العلماء فانها مجرد خرافات

أَلَّف اغلبها الذين يعبدون المباركة مريم وكانوا الّهوها لتكون مسوغاً لعبادتهم الاصنامية هذه . و بصرف النظر عن كل هذا فهي تدل على جهل مركب مطبق لانه كان لا يجوز تربية اية ابنة كانت في الهيكل بين الكهنة بل كان لا يمكن بالحري لها الاقامة في قدس الاقداس فانهُ كان لا يجوز لاي واحد كان ان يدخل فيهِ الاّ رئيس كهنة اليهود . بل كان لا يجوز لرئيس كهنة اليهود ان يدخل فيهِ الاّ مرة واحدة في السنة في يوم الكفارة العظيم . وحينئذٍ يقدم الذبيحة و يأتي بالدم ليقدمهُ امام الله في قدس الاقداس (لاويين الاصحاح ١٦ الآية ٢ وعبرانيين الاصحاح ٩ الآية ٧) على انه لم يرد ذكر في الاناجيل لاسم ام مريم . اما اصحاب البدع فزعموا ان اسمها حنة لسببين اولهما انه ورد في (انجيل لوقا الاصحاح ٢ الآية ٣٦) ان نبية عجوز تدعى حنة وثانياً ان لفظة حنة هي اسم ام صموئيل النبي . اما قصة نذر وتكريس مريم لله سبحانه وتعالى قبل الحبل بها في بطن امها وانها تربت في الهيكل فمخترعة وملفقة حسب قصة صموئيل النبي الحقيقية الواردةِ في (صموئيل الاول الاصحاح ١ الآية

١١ و ٢٤ و٢٨ والاصحاح ٢ الآية ١١ و١٨ - ١٩) فهي تقاليدها وما دروا ان هذا كان جائزاً في الحالة التي يكون فيها النذير صبياً ولكنهُ لا يجوز في الحالة التي يكون فيها النذير صبية كما يسلّم بذلك كل من له المام بعادات الشرق فبناءً على ذلك تكون شهادة هذه الخرافات لتأييد القرآن ساقطة . على ان المشابهة بينها وبين ما ورد في القرآن تدل على ان محمداً اتخذها من مثل هذه الخرافات الفارغة التافهة

ثم ان ما ورد في (سورة مريم ١٩ الآية ٢٣ و ٢٤) بخصوص الجني الذي تساقط من النخل على مريم مأخوذ من كتاب ملفق يدعى (حكاية مولد مريم وطفولية المخلص). فورد في الفصل العشرين من ذلك الكتاب ما نصهُ « ولكن في اليوم الثالث بعد ارتحالهِ حدثَ ان مريم تعبت في البرية من شدة حرارة الشمس . فلما رأت شجرةً قالت ليوسف لنسترح هنيهة تحت ظل هذه الشجرة فبادر يوسف واتى بها الى تلك النخلة وانزلها من على دابتها ولما جلست مريم شخصت بعينيها الى اعلى النخلة فرأتها ملآنة بالثمر فقالت ليوسف ياليتني آخذ قليلاً من

ثمر هذا النخل فقال لها يوسف يا للعجب كيف تقولين هذا وانت ترين ان افرع هذه النخلة عالية جداً لكنني في غاية القلق بخصوص الماء لان الماء الذي في قرباتنا نفذ ولا يوجد محل نملأها منه لنروي ظمأنا . ثم قال الطفل يسوع الذي كان متكئاً على صدر أمه مريم العذراء ووجههُ باشّ للنخلة يا أيتها الشجرة اهبطي افرعك لتنتعش امي بثمرك وحالما سمعت النخلة هذا الكلام طأطأت فوراً برأسها عند موطئ قدمي مريم فالتقط الجميع من الثمر التي كانت عليهِ وانتعشوا و بعد ذلك لما التقطوا جميع ثمرها استمرت النخلة مطأطئةً رأسها لانها كانت منتظرة الارتفاع بامر مَنْ قد طأطأت رأسها بامره فقال لها يسوع ارفعي رأسك يا أيتها النخلة وانشرحي صدراً وكوني من اشجاري التي في جنة أبي ولكن افتحي بجذورك الينبوع المستتر في الارض ولتفض المياه من هذا الينبوع ... ففي الحال انتصبت النخلة ونبعت من جذورها مجاري مياه زلال صافية باردة آية في غاية الحلاوة ولما رأوا مجاري المياه هذه فرحوا فرحاً عظيماً جداً فرووا ظمأهم مع جميع بهائمهم وخدمتهم

وحمدوا الله»

فلا فرق بين هذه الخرافة و بين القصة الواردة في القرآن الاّ في هذا وهو انه يفهم من رواية القرآن ان هذه الحادثة العجيبة حصلت عند ولادة المسيح ولكن يفهم من هذه القصة القديمة ان هذه الحادثة حصلت لما كان يوسف ومريم بعد ذلك بمدة قليلة مسافرين الى مصر

واذا قيل من أين اتخذ اصحاب البدع والخرافات هذه القصة قلنا ان هذه القصة واردة بالصورة الواردة في القرآن وبالصورة الواردة في كتب اصحاب البدع في كتب اصحاب بُدّه الذي ولد في الهند قبل التاريخ المسيحي بنحو ٥٥٧ سنة فورد في احد هذه الكتب المسمى (نِدانه كتها جاتكم[١]) فصل ١ صحيفة ٥٠ الى ٥٣ ذكر ولادة بُدّه وقيل انه لما حبلت امهُ توجهت من قصر زوجها الى قصر الملك أبيها لتولد الولد هناك ولما كانت سائرة في الطريق عرّجت مع خادماتها على غابة جميلة ثم قيل ما نصهُ «انها قربت من اسفل شجرة (سال) طيبة

(١) انظر الملحق (نمره ٣٦)

الفال وتمنَّت لو تمسك فرعاً من شجرة السال هذه فانثنى فرع شجرة السال كأنه قُصوى عصا صار تليينها ببخار وقرب من قبضة يد السائرة فمدت يدها وامسكت الفرع فاجأها المخاض و وضعت لما كانت واقفة ممسكة فرع شجرة السال » انتهى

و وردت هذه القصة بصورة اخرى في كتاب من كتب اصحاب بدّه يسمى (چرياپتكم[١]) الفصل الاول قصيدة ٩ فورد فيه ان بدّه في حياته السالفة (على مذهب التقمص) كان اميراً يدعى (وَيسّنترو) ثم حصل ان طرد ونفي مع قرينته و ولديه الصغيرين من المملكة فقطعا الفيافي والجبال الشاسعة القاصية باحثين على ملجأ يلجأون اليهِ. فاشتد الجوع بالولدين وقيل في نص الكتاب «فاذا رأى الطفلان اشجاراً حاملة ثماراً عندسفح الجبل يبكيان للحصول على ثمرها فلما رأت الاشجار الباسقة الولدين باكيين طأطأت رؤوسها واقتربت من الولدين» (انظر الابيات ٣٤ و ٣٥) انتهى

فمن الواضح البيّن ان اصحاب البدع ومؤلف القرآن

---

(١) انظر الملحق (نمره ٣٧)

اتخذوا قصصهم من هذه القصة وان كانوا لم يعرفوا اصلها الحقيقي ولا لزوم لنوضح البون الشاسع والفرق الجسيم بين الاناجيل الصحيحة الصادقة وبين كتب اصحاب البدع الموضوعة المفتعلة . فان الحوار بين الذين كتبوا اناجيلهم الصادقة الصحيحة بوحي الله المقبولة عند جميع المسيحيين هم في غنى عن الانتحال من قصص الوثنيين لانهم دوّنوا كتبهم مما شاهدوهُ وعرفوه او ما بلغهم من شهادة الذين عاينوا باعينهم الحوادث (لوقا الاصحاح ١ الآية ١ ـ ٤) وكانوا في كل حال من الاحوال تحت ارشاد الوحي الالهي والالهام الرباني وعاشوا في عصر المسيح ذاته ولكن لما كان اصحاب البدع كتبوا كتبهم في الازمنة المتاخرة وكانوا جهلة سذجاً مولعين بتصديق الخزعبلات دوّنوا في كتبهم التي ألفوها للجهلة والعوام المغرمين بحب الغرائب قصصاً كثيرة لم يعرفوا اصلها . فظهر من هذه الخرافة وامثالها ان المعترضين على القرآن اوردوا ادلة كثيرة لتأييد قولهم من ان « النبي الامي » انخدع بمثل هذه الخرافات . فتنبه

(٣) قصة طفولية يسوع (المسيح عيسى) . ورد في (سورة

آل عمران ٣ الآية ٤١ و٤٣) انه قبل مولد (المسيح عيسى) قال الملاك « وَيكلّمُ ٱلناسَ في المَهدِ . . . أَني قدْ جِئتكمُ بآيةٍ من رَبكمْ أني أخلقُ لكمُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ فأنفخُ فيهِ فيكونُ طيراً بإذْنِ اللهِ » وكذلك ورد في (سورة المائدة ٥ الآية ١٠٩ و١١٠) ما نصه « إذْ قالَ اللهُ يا عِيسى بنَ مريمَ اذكرْ نِعمتيْ عليكَ وَعلى والدتكَ إذْ أيَّدْتُكَ برُوحِ القدُس تكلّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً وإذ علّمتك الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ وإذ تخلقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ باذني فتنفخُ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئُ الاكمهَ والابرصَ باذني وإذ تخرجُ الموتى باذني وإذْ كففْتُ بني اسرائيلَ عنك إذْ جئتهم بالبيِّناتِ فقالَ الذين كفروا منهم انْ هذا الاّ سِحرٌ مبين » انتهى

واعلم انه اقتطف اغلب هذه المواد المذكورة هنا من كتب مفتعلة كاذبة لا من انجيل لانه اتضح مما تقدم ان مخاطبة يسوع الموهومة لشجرة النخل هي مبنية على ما توهمهُ البعض من انه تكلم في المهد . اما من جهة معجزة احياء الطير

المصنوع من الطين فأُخذت من كتاب يوناني كاذب اسمهُ بشارة توما الاسرائيلي (١) لانه ورد في هـذا الكتاب الساقط (فصل ثاني) مانصهُ « لما بلغ الصبي يسوع من العمر خمس سنين كان يلعب في جدول فجمع المياه الجارية الى بحيرات وكان يجعلها على الفور نظيفة ورتبها بمجرد كلمة ثم جعل بعض طين ناعماً وصنع منه اثني عشر عصفوراً وكان يوم السبت لما فعل هذه الاشياء . ومع انه كان يوجداولاد كثيرون يلعبون معهُ الاَّ انه لما رأى احد اليهود ما فعلهُ يسوع وانه كان يلعب في يوم السبت ذهب واخبر والده يوسف قائلاً ان ابنك هو عند جدول المياه واخذ طيناً وصنع منهُ اثني عشر طوَيراً ونقض يوم السبت فاتى يوسف الى المحل وعاين (ما فعل الولد) صرخ قائلاً له لماذا تفعل في السبت هذه الاشياء التي لا يحلُّ فعلها فطبق يسوع كفيهِ الواحد على الآخر وصاح بالعصافير قائلاً لها اذهبي فطارت العصافير تزقزق فانذهل اليهود الذين شاهدوا هذه الامور ولما انصرفوا اخبروا رؤساءهم بما فعله يسوع »

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٣٨)

وهذه الخرافة كلها توجد ايضاً في كتاب عربي ساقط يسمى انجيل الطفولية (فصل ٣٦) وذكرت بصورة أخرى في الفصل السادس والاربعين من هـذا الكتاب لان آخر هذا الكتاب مأخوذ من بشارة توما الاسرائيلي

ولنرجع الآن الى ما ذكر من ان يسوع تكلم لما كان طفلاً في المهد فذكر في (سورة مريم ١٩ الآية ٢٩ ــ ٣١) بانه لما وبَّخ مريمَ قومُها اشارت الى الطفل يسوع (المسيح عيسى) ليجاوب عنها فلما قالوا لها « كيف نكلّمُ من كان في المهدِ صبياً » أجاب يسوع (المسيح عيسى) قائلاً « اني عبدُ الله آتاني الكتابَ وجعلني نبياً » وورد في انجيل الطفولية في الفصل الاول ما نصهُ « قد وجدنا في كتاب يوسيفوس رئيس الكهنة الذي كان على عهد المسيح وقد قال اناس انه قيافا قال هذا ان يسوع تكلم وهو حين كان في المهد وقال لمريم امه اني انا هو يسوع ابن الله الذي ولدتني كما بشركِ جبرائيل الملاكُ وابي ارسلني لخلاص العالم»

فاذا قارنا بين هذا القول و بين ما ورد في القرآن نرى ان

محمداً غيّر في هذه العبارة هذه الاقوال الوهمية المنسوبة الى المسيح يسوع بكيفية تلائم اعتقاده وتعاليمهُ . ولكن مما لا نشك ولا نرتاب فيه ان محمداً اتخذ هذه القصة الكاذبة من الكتاب المذكور . واذا سأَل سائل وقال كيف توصل الى انتحالها وأنَّى تيسر لهُ ذلك قلنا ان الكتاب المسمى انجيل الطفولية مترجم من القبطية الى اللغة العربية وبما ان ماريه القبطية كانت من سراري محمد لا بد انه سمع هذه الخرافة منها لانها كانت جاهلة فتوهمت ان هذه القصة كانت في الانجيل الصحيح الاصلي فاخذها منها وتصرّف في روايتها الشفاهية قليلاً ونقحها ودوّنها في القرآن

فاذا اصرّ انسان وقال ربما تكون هذه القصة صحيحة فالجواب عن ذلك هو انه لا يمكن ان تكون هذه القصة وما شاكلها من القصص التي اوردناها صحيحة لانه يتضح من انجيل يوحنا الاصحاح ٢ الآية ١١ ان المسيح لم يفعل معجزة في طفوليته لانه ذكر في اثناء سياق كلامه على معجزة صنعها لما بلغ من العمر اكثر من ثلاثين سنة ان الآية المذكورة في اول هذا الاصحاح كانت بدء معجزاتهِ وآياته فيؤخذ من منطوق هذه العبارة انه

لم يفعل معجزة قبل المعجزة المذكورة في هذا الاصحاح

غير ان سائر معجزات يسوع (المسيح عيسى) المذكورة في القرآن هي حقيقية وحصلت فعلاً ما عدا معجزة المائدة التي ادعى القرآن ان المسيح عيسى انزلها من السماء . اما ما ذكر في القرآن من انه طهَّر البرص واقام الموتى واعطى بصراً للعميان فهومطابق لما ورد في الاربع بشائر الاصلية الصحيحة. اما ما ورد في القرآن بخصوص المائدة فهو في (سورة المائدة ٥ الآية ١١٢ و١١٥) ونصهُ «اذ قال الحواريون ياعيسى بنَ مريمَ هل يستطيع ربُّك أن ينزلَ علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأ كلَ منها وتطمئنَّ قلوبنا ونعلم أنْ قد صدَقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزلْ علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأَوّلنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وأنت خيرُالرازقين. قال الله اني منزلها عليكم» وعلم بعد الاستقصاء التام انه لم يرد ذكر لهذه المعجزة في اي كتاب من الكتب المسيحية ولا شك انه لم تحصل هذه الحادثة العجيبة . ولكنا نرى ان هذه القصة نشأت عن عدم فهم بعض

عبارات واردة في العهد الجديد مثلاً ورد في (انجيل متى الاصحاح ٢٦ الآية ٢٠ـ٢٩) و (انجيل مرقس الاصحاح ١٤ الآية ١٧ـ٢٥) و (انجيل لوقا الاصحاح ٢٢ الآية ١٤ـ٣٠) و (انجيل يوحنا الاصحاح ١٣ الآية ١ـ٣٠) ذكر للعشاء الرباني الذي اشترك فيه المسيح عيسى مع الحواريين في آخر ليلة من وجوده بالجسد في هذه الحيوة الدنيا وهي ليلة قبل يوم صلبه على الصليب. ومن ذلك الوقت الى هذا الوقت الحاضر اعتاد المسيحيون الحقيقيون على ممارسة العشاء الرباني حسب امره تذكاراً لصلبه. وورد في (انجيل لوقا الاصحاح ٢٢ الآية ٣٠) ما نصهُ بخصوص مائدة المسيح عيسى وهو «لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر» ولكن اذا سأل سائل وقال لماذا يقول المسلمون ان هذه المائدة نزلت من السماء قلنا الجواب عن ذلك ربما توهموا ان لهذا علاقة بما ذكر في (اعمال الرسل الاصحاح ١٠ الآية ٩ ـ ١٦) ونص العبارة هو «ثم في الغد فيما هم يسافرون و يقتربون الى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة فجاع كثيراً واشتهى ان يأكل و بينما هم يهيئون له

وقعت عليه غيبة فرأى السماء مفتوحة واناءً نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة باربعة اطراف ومدلاّة على الارض وكان فيها كل دوابّ الارض والوحوش والزحافات وطيور السماء وصار اليه صوتٌ قم يا بطرس اذبح وكل فقال بطرس كلاّ يا رب لاني لم آكل قط شيئاً دنساً او نجساً . فصار اليه ايضاً صوت ثانية ما طهّره الله فلا تدنسه انت وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الاناء ايضاً الي السماء » (انتهى) غير ان هذه كانت رؤيا فقط ولا شك ان عدم فهم الكتاب المقدس حق الفهم هو منشأ واصل حكاية المائدة في القرآن

والآن نشير الى بعض الاشياء الاخرى التي ذكرت في القرآن بخصوص المسيح عيسى وامه مريم العذراء لنقف على مصدرها واصلها . ومن هذه الاشياء ما ذكر في القرآن في (سورة المائدة ٥ الآية ١١٦) ونصهُ « واذ قالَ اللهُ يا عيسى بن مريمَ أأنت قلتَ للناسِ اتخذوني وأميَ الهين من دون الله » وكذلك ورد في (سورة النساء ٤ الآية ١٦٩) مانصهُ « يا اهلَ الكتابِ لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الاّ الحقّ انما المسيح عيسى

ابنُ مريمَ رسولُ الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسولهِ ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم انما الله الهٌ واحدٌ فسبحانه ان يكونَ له ولد لهُ ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً » وكذلك ورد في (سورة المائدة ٥ الآية٧٧) ما نصهُ « لقد كفر الذين قالوا انَّ الله ثالثُ ثلثة وما من اله الاّ الهٌ واحدٌ وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم »

فيتضح من هذه الآيات ان محمداً سمع كما قال جلال الدين ويحي من بعض اصحاب البدع من النصارى انه يوجد ثلاثة الهة حسب وهمهم. وهم الله سبحانه وتعالى ومريم وعيسى. فردَّ القرآن على آراء اصحاب البدع الكفرية وكرر المرة بعدالاخرى أن الله واحد. وكل من له المام بالتوراة والانجيل يعرف ان وحدانية الله هي اساس الدين المسيحي لانه ورد في التوراة (تثنية الاصحاح ٦ الآية٤) «اسمع يااسرائيل الرب الهنا رب واحد» وفي (انجيل مرقس الاصحاح ١٢ الآية ٢٩) استشهد المسيح بهذه الآية وأيَّد صحتها بغاية التأكيد ولم يقل مسيحي حقيقي بان مريم هي اله

نعم لاينكر انه مما يحزن الفؤاد ويوجب الاسف ان عبادة مريم دخلت في بعض الكنائس ولكن هذه هي محض عبادة اصنام ومع ان هذه العبادة منافية لوصايا الله ومنافية لتعاليم التوراة والانجيل الاّ انها موافقة لبعض الكتب الموضوعة الكاذبة التي اقتبس منها محمد القصص المذكورة بخصوص مريم العذراء

وورد في (سورة النساء ٤ الآية ١٥٦) ان اليهود قالوا « إنّا قتَلنا المسيحَ عيسى ابن مريمَ رَسولَ اللهِ وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكنْ شبِّهَ لهُمْ . . . . وما قتلُوهُ يقيناً بلْ رَفعهُ اللهُ اليهِ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً » فتعليم القرآن في هذه العبارة هو منافٍ على خط مستقيم لجميع كتب الانبياء والحواريين ولكنهُ يطابق غاية المطابقة مذاهب بعض اصحاب البدع الضالين . لان ايرينيوس احد علماء المسيحيين القدماء قال ان (باسليديس[1]) الذي كان احد زعماء أصحاب البدع في الازمنة القديمة كان يعلّم اشياعهُ واتباعهُ مثل هذه البدعة فقال ايرينيؤس ان باسيليديس كان يعلّم انصارهُ واتباعهُ ان

(١) انظر الملحق (نمرة ٣٩)

المسيح « لم يتألم وان شخصاً اسمه سمعان من قيروان التزم ان يحمل صليبه لاجله وان هذا الرجل هو الذي صُلبَ جهلاً وخطاءً فانهُ غيّر (المسيح) شكل هذا الرجل لكي يتوهموا انه هو عيسى نفسهُ » انتهى . فمن هنا يظهر ان محمداً اتخذ هذا المذهب من اشياع واتباع باسيليديس ومريديه . ومع ذلك فكل من ينكر ان المسيح صُلب حقيقةً ومات على الصليب يعارض ويناقض جميع تعاليم الانبياء والحواريين في ذلك لان الانبياء تنبأوا من قبل بانهُ لا بد ان المسيح الموعود بهِ يبذل حياتهُ الكريمة الثمينة ويكفر كفارة تامة كاملة عن خطايا جميع النوع الانساني . وشهد الحواريون ايضاً قائلين انهم كانوا حاضرين وشاهدوا باعينهم مخلصهم مصلوباً ولكن محمداً لم يدرِ ان انكار باسيليدس الزائغ لصلب المسيح هو بدعة مبنية على ضلالة من ضلالاتهِ وعلى مذهب من مذاهبهِ الفاسدة الزائغة فانهُ ذهب الى ان المسيح لم يتخذ طبيعة بشرية حقيقة ولكنهُ اتخذ شبهَ جسدٍ لا وجود له حقيقة . وانهُ كان لا يمكن ان يولد أو يتألم او يصاب ولكنهُ خدع الناس واغراهم على التصديق بانهُ تألم وصُلِبَ . ولكن

هذا المذهب الزائغ عن الحق هو منافٍ على خط مستقيم لكل ما في الانجيل والقرآن . فاذا كان لا يجوز لمحمد ان يقبل بعض ضلالات باسيليديس و بعض اوهامه الفاسدة بل ان ينبذ اساس وأصول فلسفته الكاذبة الكفرية لانهُ اذا هدم اساس اي مذهب كان لا بد ان ينهار بناؤه واركانهُ واذا كانت اصوله كاذبة فكيف تثبت فروعه التي هي اقل اهمية واعتباراً من اساسهِ . ولكن نقول ان محمداً قَبِلَ الفروع ودوّنها في قرآنهِ وصرف النظر عن الاصل والمبدإ الذي بني عليهِ الفرع وهذا سبب ادخاله هذه الآية في القرآن

وذهب المسلمون الى ان المسيح اوصى تلاميذه ان ينتظروا مجيء نبي آخر اسمهُ (احمد) واوردوا آية من القرآن لتأييد هذا الوهم والزعم فانهُ ورد في (سورة الصف ٦١ الآية ٦) ما نصهُ « واذ قال عيسى ابنُ مريمَ يا بني اسرائيلَ اني رسولُ اللّه اليكم مصدِّقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمهُ احمد » ولا شك ان هذه الآية تشير الى ما ورد في (انجيل يوحنا الاصحاح ١٤ الآية ١٦ و ٢٦ والاصحاح ١٥ الآية ٢٦

والاصحاح ١٦ الآية ٧) بخصوص الفارقليط او الباراقليط وهو المعزّي . لكن كل من طالع هذه الاصحاحات بتروٍّ وامعان نظر يرى انهُ لم يرد فيها ذكر لنبي يأتي بعد المسيح بل الحال بالعكس فان المسيح كان يتكلم عن الروح القدس كما هو واضح من منطوق ومفهوم هذه الآيات . وقد تم وعد المسيح بعد صعوده بايام قليلة . وورد في (اعمال الرسل الاصحاح ٢ الآية ١–١١) نبأ عن تميم هذا الوعد وحلول الروح القدس على التلاميذ . ومنشأ خطأ القرآن هو انهُ لما كان العرب يجهلون معنى فار قليط توهموا ان ترجمة هذه اللفظة الحقيقي هو احمد والحقيقة هي ان معنى الكلمة اليونانية الصحيح هو معزٍّ ولكن توجد لفظة أخرى باللغة اليونانية يجيء النطق بها الى آذان الاجنبيين (مثل العرب) مثلاً انها قريبة مما يلفظهُ العرب فارقليط ومعنى هذه اللفظة الثانية هو المشهور الذائع الصيت . فيحتمل ان احد العرب الذين يجهلون اليونانية سمع هاتين اللفظتين فالتبستا عليهِ فتوهم ان معنى فارقليط احمد . ويسهل وقوع العرب في مثل هذا الخطأ فانهُ اذا سمع اجنبي عربياً يتكلم عن (قلب) تعذر عليهِ التمييز

بين قلب وكلب بل ربما توهم الاجنبي ان مراده كلب فتلتبس عليهِ العبارة . ولا يخفى ان (ماني) المصور الشهير نبغ في بلاد الفرس وادعى النبوة وقال انا الفار قليط وان المسيح شهد لي. غير ان المسيحيين رفضوا دعواه لاطلاعهم على حقيقة تعاليم الانجيل ولمعرفتهم ان المسيح عيسى لم يتنبأ عن نبي حقيقي يأتي بعده الخ

وورد في الاحاديث بانهُ لما ينزل المسيح من السماء يقيم في هـذه الحيوة الدنيا اربعين سنة ويتزوج (انظر عرائس المجالس صحيفة ٥٥٤) وكل من له اطلاع على التوراة والانجيل يعرف منشأ هذا الخطأ فورد في (سفر الرؤيا الاصحاح ١٩ الآية ٧ و ٩) ما نصهُ (لنفرح ونتهلل ونعطهِ المجد لان عرس الخروف قد جاءَ وامرأتهُ هيأت نفسها واعطيت ان تلبس بَزًّا نقياً بهياً لان البز هو تبرّرات القديسين . وقال لي اكتب طوبى للمدعوين الى عشاء عرس الخروف » ومن المعلوم ان لفظة الخروف هي لقب من القاب المسيح عيسى وهنا ذكر صريحاً عرسه عند رجوعهِ الى الارض . ولكن اذا سأل سائل وقال من هي العروس وما المراد بهذه الآيات قلنا ان الجواب على ذلك هو غاية في

السهولة لانهُ ورد في ذات (سفر الرؤيا الاصحاح ٢١ الآية ٢) ما نصهُ « وانا رأيت المدينة المقدسة اورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها » انتهى فهذه اورشليم الجديدة يعني الكنيسة المسيحية المكملة المطهرة كما في (افسس الاصحاح ٥ الآية ٢٢ ـ ٣٢) هي العروس التي يقترن بها المسيح اي التي يقبلها ويضمها لذاتهِ عند رجوعهِ والمراد بقولهِ يتزوجها هي المحبة الكاملة والاتحاد التام الذي يوجد حينئذٍ بين المخلص و بين المخلَّصين فالمراد لازم هذه اللفظة مجازاً

ومن هنا نرى ان هذه القصة الواردة في الاحاديث نشأت من عدم فهم اقوال العهد الجديد . اما قوله ان المسيح يقيم في هذه الدنيا اربعين سنة بعد رجوعهِ فهو ناشيء من عدم فهم آخر ولا بد أنهُ نشأ عن العبارة الواردة في (أعمال الرسل الاصحاح ١ الآية ٣) التي تفيد بانه اقام مع تلاميذه اربعين يوماً بعد قيامتهِ اما ما ورد في الاحاديث والتفاسير من ان المسيح يموت بعد رجوعهِ فهو مبني على ما ورد في (سورة آل عمران ٣ الآية ٤٨) وهو قوله « يا عيسى اني متوفيك » ولكننا لا نجزم بان هذا

هو معنى هذه الآية الحقيقي لان هذا التعليم منافٍ على خط مستقيم لنصوص الكتاب المقدس الصريحة . مثلاً ورد في (سفر الرؤيا الاصحاح ١ الآية ١٧ و ١٨) قول المسيح عيسى ما نصهُ «انا هو الاوَّل والآخر والحيُّ وكنت ميتاً وها انا حي الى ابد الآبدين آمين ولي مفاتيح الهاوية والموت» غير ان اصل ما ورد في الاحاديث بخصوص هذا الامر هو العبارة الآتية الواردة في كتاب مفتعل كاذب يدعى (نياحة ابينا القديس الشيخ يوسف النجار) فانه ورد في (فصل ٣١) ما نصهُ بخصوص النبيين اخنوخ وايليا اللذين صعدا الى السماء بدون ان يذوقا الموت « ينبغي لاؤلئك يأتوا الى العالم في آخر الزمان في يوم القلق والخوف والشدة والضيق ويموتوا » وورد كذلك في كتاب قبطي مفتعل كاذب اسمهُ (تاريخ رقاد القديسة[1] مريم) ما نصهُ «اما من جهة هذين الآخرين (اي اخنوخ وايليا) فينبغي عليهما ايضاً ان يذوقا الموت اخيراً) انتهى . وبما ان الصحابة اي انصار محمد واصحابه سمعوا هذا القول من الذين اطلعوا على هذين الكتابين .

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٤٠)

الساقطين ذهبوا بطريق الاستنتاج الى ان المسيح لا بد
ان يذوق الموت ايضاً مثل اخنوخ وايليا. لانهم توهموا انه صعد
الى السماء مثلهما بدون ان يذوق الموت فهكذا ذهبوا الى انه
سيموت بعد مجيئه الثاني وفسروا الآية ٣ الواردة في سورة آل
عمران حسب هذا الزعم الذي زعموه فقوله في (سورة العنكبوت
٣٩ الآية ٥٧) «كلُّ نفسٍ ذائقة الموت» ومثلها في (سورة
آل عمران ٣ الآية ١٨٢) هو مبني على هذا المذهب (ما عدا
حادثة موت المسيح عيسى بعد رجوعهِ) الذي منشأه جهلة
اصحاب البدع والضلالة

(٤) في ذكر بعض اشياء شتى اخذت من كتب المسيحيين او
من مؤلفات اصحاب البدع والضلالة. فمن هذا القبيل الحكاية
الواردة في الاحاديث بانه لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق
آدم ارسل الملائكة المقربين واحداً بعد الآخر لكي يأتوا بقبضة
من اديم الارض. ولما خاب مسعاهم نزل اخيراً عزرائيل ووضع
يده واخذ قبضة من اديم كل الارض واتى بها للمولى سبحانه
وتعالى قائلاً يا الله انت تعرف ما اتيت بها (قصص الانبياء

صحيفة ١١) وقال ابو الفداء نقلاً عن تاريخ الكامل لابن الاثير « قال النبي صلعم ان الله تعالى خلق آدم عليهِ السلام من قبضة قبضها من جميع الارض وانما سمي آدم لانه خُلق من اديم الارض » انتهى . اما قضية نزول الملاك من السماء لاخذ شيء من اديم الارض وانه طلب قبضة من الارض حسب الاحاديث فهو مأخوذ من اقوال (مَرْقِيوُن) وهو يوناني من اصحاب البدع الذين مرقوا عن الدين القويم لان (يَذْنِيق [1]) احد المؤلفين الارمن القديمين جدًّا اورد في الفصل الرابع من كتابه المسمى (في ردّ البِدَع) العبارة الآتية من احد كتب مرقيون ونصها « ولما رآى اله التوراة ان هذا العالم كان جميلاً عزم على عمل الانسان منهُ (اي من هذا العالم) ولما نزل الى الارض الى المادة (او الهيولي) قال اعطيني شيئاً من طينكِ وانا اعطيكِ نسمةً من عند نفسي . . . . . ولما اعطته المادة شيئاً من اديمها خَلَقهُ (اي آدم) ونفخ فيه النسمة ..... ولهذا السبب سُمي آدم لانه خُلِقَ من اديم (الارض) » انتهى

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٤١)

ومقتضى بدعة مرقيؤن هو ان المراد بالشخص الذي يسميهِ اله التوراة الذي اخذ قبضة من الارض ليخلق منها الانسان هو ملاك لاغير. لان هذا المبتدع نفسهُ واشياعه ذهبوا الى ان التوراة نزلت من عند احد الملائكة الذي كان عدواً لله تعالى وكانوا يسمون هذا الملاك برب العالمين وخالق المخلوقات ورئيس هذا العالم. ولا يخفى ان قولهم رئيس هذا العالم اخذوه من الانجيل فانه اطلقت هذه اللفظة على الشيطان (انظر يوحنا الاصحاح ١٤ الآية ٣٠) (ولا يخفى ان المسلمين قالوا ان المراد بهذه الآية الاشارة الى محمد لجهلهم بمعناها الحقيقي)

وذهب مرقيون الى ان هذا الملاك اقام في السماء الثانية وانه لم يكن عارفاً في اول الامر بوجود الله تعالى ولكنه لما عرف بوجود واجب الوجود عاداه سبحانه وتعالى (وذهب مرقيون الى ان اسم المولى واجب الوجود هو الاله المجهول) وحاول الملاك منع الناس عن معرفة الله الاله الحق الحقيقي لئلا يكرموه ويعبدوه. فكل هذه الاراء والمذاهب تشبه مشابهة بليغة لما ذهب اليه المسلمون من ان عزازيل كان مقيماً ايضاً في

السماء الثانية . ويوجد منشاء باقي قصة عزازيل في كتب اشياع زَرْدُست كما سنبينه في الفصل الخامس من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وورد في (سورة مريم ١٩ الآية ٦٩ ــ ٧٢) ما نصه « فوربّكَ لنحشرنّهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ثم لننزعنَّ من كل شيعةٍ ايُّهم اشدُّ على الرحمن عتياً ثم لنحن اعلمُ بالذين هم اولى بها صِلياً وانْ منكم الاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جثياً »

واختلف المفسرون في المراد بهذه الايات فذهب البعض الى انه لابد ان كل المؤمنين يردون جهنم ولكن لا يضرهم لهبها . وذهب البعض الآخر الى ان الاشارة هي الى الصراط الذي لابد ان يمرَّ عليه الجميع وهو ممدود على جهنم . اما من جهة الصراط فسنشير اليهِ في الفصل الخامس وانما مرادنا هنا الكلام على قوله (إنْ مِنْكمْ إلاّ وَارِدُها) فنقول . انه يحتمل ان هذه العبارة تشير الى ما استنتجه بعض جهلة المسيحيين من الآية الواردة في انجيل مرقس البشير (الاصحاح ٩ الآية ٤٩)

والآية الواردة في (كورنثوس الاولى الاصحاح ٣ الآية ١٣) فانهم اخطأوا في تفسير هاتين الآيتين واستنتجوا منهما استنتاجاً بعيداً بانه يوجد محل يتطهر فيهِ عصاة المسيحيين من خطاياهم بواسطة النار. ولكن اذا كان المراد من عبارة القرآن الاشارة الى الصراط فيكون أُخذ هذا المذهب من اصحاب زَرْدُشت وليس من المسيحيين كما سنبينه في موضع آخر

وقد ورد ذكر الميزان في (سورة الشورى ٤٢ الآية ١٦) ونصه «اللهُ الذي أَنزَلَ الكتابَ بالحقّ والميزانَ وما يُدْريكَ لعلَّ الساعةَ قريبٌ» وكذلك ورد في (سورة القارعة ١٠١ الآية ٥ و٦) ما نصه «فأما منْ ثقلتْ مَوَازينهُ فهو في عيشة رَاضية وأمَّا مَنْ خفّتْ موازينُهُ فأُمهُ هاويةٌ» ولا لزوم الى ذكر كل ما ورد في الاحاديث بخصوص الميزان الهائل لانها لا تخفى على احد. ولكن فلنبحث عن اصل هذه القصة فاعلم انها مأخوذة من كتاب مفتعل موضوع يسمى (عهد[1] ابراهيم) أُلِّف في مصر اولاً ثم ترجم الى اللغة اليونانية والعربية

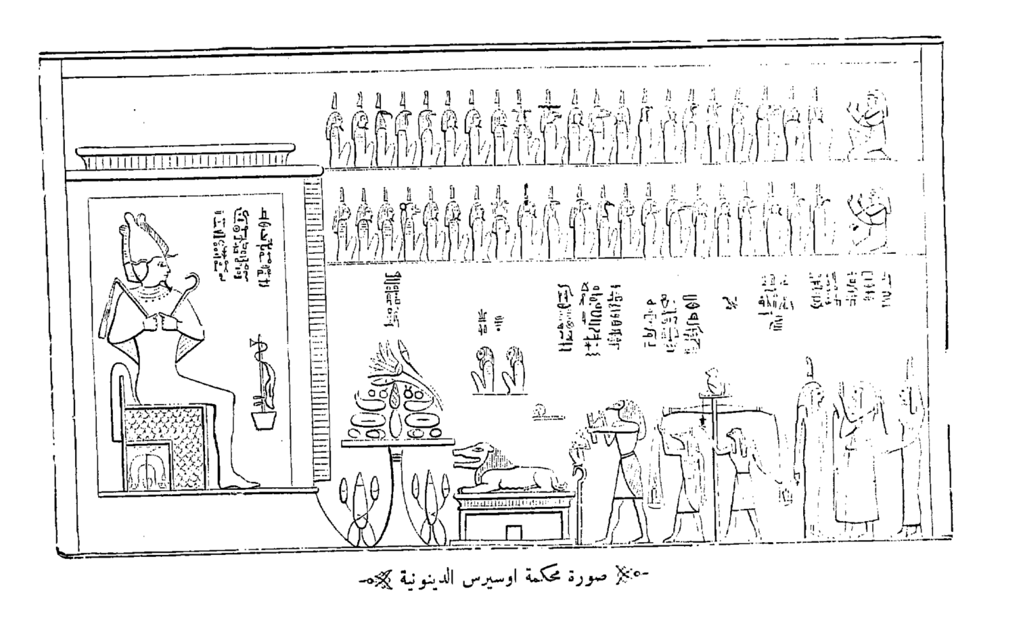
(١) انظر الملحق (نمره ٤٢)

فنرى في هذا الكتاب ما يشبه ما ذكر في القرآن بخصوص وزن الاعمال الصالحة والطالحة . فذكر في كتاب عهد ابرهيم انه لما شرع ملاك الموت بامر الله في القبض على روح ابرهيم طلب منهُ خليل الله ان يعاين قبل الموت غرائب وعجائب السماء والارض . فلما اذن له عرج الى السماء وشاهد كل شيء وبعد هنيهة دخل السماء الثانية ونظر الميزان يزن فيه احد الملائكة اعمال الناس ونص تلك العبارة هو « ان كرسياً كان موضوعاً في وسط البابين وكان جالساً عليه رجل عجيب وامامه كانت مائدة تشبه البلور وكلها من ذهب وكتان رفيع وعلى المائدة كتاب ثخنهُ ستة اذرع وعرضهُ عشرة اذرع وعلى يمينها ويسارها ملاكان ماسكين ورقة وحبراً وقلماً وامام المائدة كان جالساً ملاك يشبه النور ماسكاً ميزاناً بيده . وعلى اليسار كان جالساً ملاك من نار تلوح عليه علامات القسوة والفظاظة والغلظة ماسكاً بيده بوقاً فيه نار آكلة لامتحان الخطاة . وكان الرجل العجيب الجالس على الكرسي هو الذي يدين ويمتحن الارواح وكان الملاكان اللذان عن اليمين واليسار

يكتبان ويسجلان (اعمال الناس) فكان الملاك الذي على اليمين يكتب ويسجل الاعمال الصالحة وكان الملاك الذي على اليسار يكتب الخطايا . اما الملاك الذي امام المائدة والماسك الميزان فكان يزن الارواح والملاك الناري الماسك النار فكان يمتحن الارواح . فاستفهم ابرهيم من مخائيل رئيس الملائكة قائلاً . ما هذه الاشياء التي نشاهدها فقال له رئيس الملائكة ان ما تراه ايها الفاضل ابرهيم هو الحساب والعقاب والثواب (عهد ابرهيم الصورة الاولى فصل ١٢) وذكر بعد هذا ان ابرهيم رأى ان الروح التي تكون اعمالها الصالحة والطالحة متساوية لا تُحسَب من المخلَّصين ولا من الهالكين ولكنها تقيم في موضع وَسط بين الاثنين » وهذا المذهب يشبه ماورد في (سورة الاعراف ٧ الآية ٤٤) وهو قوله « وبينهما حجابٌ وعلى الاعرافِ رجالٌ »

فيتضح مما تقدم ان محمداً اتخذ مسألة الميزان الذي ذكره في القرآن من هذا الكتاب الموضوع الذي أُلِّف في مصر نحو ٤٠٠ سنة قبل الهجرة والارجح انه عرف مضمون هذا الكتاب من مارية القبطية التي كانت سريته . غير ان مصدر ومنشأ قضية

الميزان الواردة في عهد ابرهيم ليست من التوراة والانجيل ولكن منشأها كتاب قديم جداً يسمى (كتاب الاموات) وجدت نسخ كثيرة منه بخط اليد في قبور قدماء المصريين عَبدة الاصنام . ودفنوا هذا الكتاب مع الموتى لان قدماء المصريين كانوا يعتقدون ان احد الهتهم الكذبة واسمهُ (تَهُوتي) ألّفهُ وزعموا ان الموتى يحتاجون الى التعلم منهُ بعد موتهم وفي رأس فصل ١٢٥ من هذا الكتاب صورة اوردنا رسمها هنا كما ترى . ومن سرح طرفه في هذه الصورة يرى فيها الهين اسمهما (حُور) و (أنپُو) وضعا في كفة من هذا الميزان قلب رجل بَرّ صالح توفي . ووضعا في الكفة الاخرى تمثال اله آخر من الهتهم اسمهُ (مأَت) او الصدق . اما تهوتي الاله المتقدم ذكره فكان يقيّد حساب اعمال الانسان الميت في سجل . اما الاحرف المكتوبة فوق الميزان في هذه الصورة فهي كتابة بالقلم الفرعوني القديم وهاك الفاظها بالحروف العربية «أَسَر — أُوْف — عانْخ — ماخَرُو — إِرْ — حافْ — ماخَيتْ — مِحِ — إِم — خَنْتْ — سَحْ — زِطِفْ — أَبْ — آقْ — نِفْ — أَيِفْ — إِرْ — أَسْتِفْ —



-﴿ صورة محكمة اوسيرس الدينونية ﴾-

إن ـ أَسَرْ ـ . . . ماخَرُو ـ نُتَر ـ آعا ـ خُنتْ ـ حَسَرَتْ ـ أمْما ـ زِطْ ـ أنْ ـ تهوتي ـ نِبْ ـ أنْ ـ نو ـ پا ـ نِبْ ـ تهُوتي ـ زِطو ـ وترجمتها ان « أسَر يعيش مبرراً والميزان مستوٍ في موضعه في وسط محل الدينونة الالهي وهو يقول اماقلبه فليدخل قلبهُ الى محلهِ في أسَر الفلاني المبرر وليقول كهذا تهُوتي الاله العظيم في مدينة (حَسَرتْ) مالك مدينة الشمس مالك كلمات تهوتي (اي النبوة) هنا اسم اسر يمنح للرجل الميت ويلقب به وكذلك اسمه (وهنا يترك محل خال ليكتب عليه اسم المتوفي) ومعنى ذلك بما ان الميت تبرر وصار متحداً مع الاله (أسر) وهو رئيس الهــة المصريين القدماء وبذلك ينجو من صدمات القوات الشريرة »

وفي هذه الصورة رسم على رؤوس بعض صور هــذه الالهة اسماؤهم بالكتابة الفرعونية المصرية القديمة . قال المؤلف وقد كتبتُ هذه الاسماء بالاحرف العربية ايضاً لكي يعرف المطالعون معنى هذه الصورة حق المعرفة ويفهموه حق الفهم

وامام صورة تهوتي الذي هو الـكاتب الالهي حيوان

بشع يشبه كلبة وزعموا ان هذا الحيوان يفترس الاشرار وهاك الكلمات المكتوبة على رأسهِ وهي

طَرْ ـ خفو ـ إنْ ـ عامْ ـ نِبْت ـ أمَنتِي ـ ثسِمْ ـ إنْ ـ أمَنتِي ـ وترجمتها « مقتحم الاعداء بافتراسهم سيدة عالم الاموات وكلبة عالم الاموات» انتهى . ويقرب من هذا الحيوان مذبح مشحون بالتقدمات موضوع امام باب المقدس الداخلي وفي المقدس جالس على العرش الاله أسَرْ نفسه الاله المحسن ماسكاً بيده صولجان وباليد الاخرى سوطاً وهو جالس على هيئة قاضٍ مستعد ان يعامل روح الانسان الميت حسب مايقيد تهوتي في السجل اي بالنسبة الى رجحان قلبه في الميزان أو خفته وتشتمل الكتابة المصرية القديمة المكتوبة امام أسر بعض القابه ويلفظ بها هكذا ـ أسرْ ـ أُنْ ـ نَفرْ ـ نُترْ ـ نِبْ ـ عانْخ ـ نُتَر ـ آعا ـ حِقْ ـ زِتْ ـ حري ـ ستوْ ـ أكرْ ـ خنتي ـ أمَنتِي ـ نُترْ ـ آعا ـ نِبْ ـ أبْط ـ ستُنْ ـ نحح ـ نُتَر

وترجمتها «أسر الذات الصالحة الله رب الحيوة الاله العظيم مالك الابد رئيس الجنة وجهنم في عالم الاموات الاله العظيم

مالك مدينة (أبْط) ملك الازل الله» انتهى . ومن تحت العرش كُتِبت هاتان الكلمتان مرات عديدة (عانْخ أسرْ) يعني «الحيوة والصحة»

فيتضح مما ذكر ان القرآن اتخذ مسألة الميزان من الكتاب الموضوع المسمى عهد ابرهيم وان مسألة الميزان في عهد ابرهيم هي مأخوذة من الروايات الشفاهية التي وصلت من السلف الى الخلف من اعتقادات قدماء المصريين المدونة في كتاب اسمهُ كتاب الاموات وان هذا الكتاب هو مصدر ذكر الميزان الاصلي

وورد في الاحاديث ان محمداً رأى في ليلة المعراج آدم اب البشر تارة يبكي ويولول واخرى يفرح ويهلل كما ذكر في (مشكاة المصابيح صحيفة ٥٢١) ما نصه «فلما فتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه أسودَةٌ وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينـهِ ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلتُ لجبرائيل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينهِ وعن شماله نَسَمُ بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار . فاذا نظر عن

يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى » انتهى

ومأخذ هذا الحديث ايضاً هو من الكتاب الموضوع الذي اسمه عهد ابرهيم لانه ورد في ذلك الكتاب (١) صورة ١ فصل ١١) ما نصه « فحول ميخائيل العربة وحمل ابرهيم الى جهة الشرق في اول باب السماء فرأى ابرهيم طريقين احداهما طريق كرب وضيقة والاخرى واسعة وعريضة ورای هناك بابين احدهما واسع يوصل الى الطريق الواسعة وباب ضيق يوصل الى الطريق الضيقة . ورأيت هناك خارج البابين رجلاً جالساً على كرسيّ مرصّع بالذهب وكانت هيئة ذلك الشخص مهيبة كهيبة السيد ورأيت ارواحاً كثيرة تسوقها الملائكة وتدخلها من الباب الواسع ورأيت ارواحاً اخرى وهي قليلة العدد تحملها الملائكة وتدخلها في الباب الضيق . ولما رأى الرجل العجيب الذي كان مستوياً على الكرسيّ الذهبي ان الذين يدخلون من الباب الضيق هم قليلون وان الذين يدخلون من الباب الواسع كثيرون امسك حالاً هذا الرجل

(١) انظر الملحق (نمره ٤٣).

العجيب شعر رأسهِ وجانبي لحيته والقى بنفسهِ من الكرسيّ الى الارض ينوح ويندب . ولما رأى ارواحاً كثيرة تدخل من الباب الضيق ثمّ كان يقوم من على الارض وكان يجلس على كرسيهِ فرحاً مهللاً وفي غاية الفرح . ثم استفهم ابرهيم من رئيس الملائكة (وقال له) يامولاي الرئيس مَنْ هذا الرجل العجيب جدًّا الموشح بمثل هذا المجد الذي تارة يبكي ويولول واخرى يفرح ويهلل . فقال له ان هذا الشخص بدون جسد (الملاك) هو آدم اول شخص خُلِقَ وهو في هذا المجد العظيم وهو يشاهد العالم لان الجميع تناسلوا منه . فاذا رأى ارواحاً كثيرة تدخل من الباب الضيق ثم يقوم ويجلس على كرسيهِ فرحاً مهللاً من السرور لان الباب الضيق هو باب الصالحين المؤدي الى الحيوة والذين يدخلون منه يذهبون الى جنة النعيم . ولهذا السبب يفرح آدم وهو اول انسان خُلِقَ لانه يرى الانفس تفوز بالنجاة ولما يرى انفساً كثيرة تدخل من الباب الواسع ثمّ ينتف شعر رأسه ويلقي بنفسهِ على الارض باكياً ومولولاً بحرقة لان الباب الواسع هو باب الخطاة الذي يؤدي الى الهلاك والى العقاب الابدي » انتهى

ومع انه يسهل على كل عالم اقامة الدليل والبرهان على انه قد أُخذت اشياء اخرى كثيرة واردة في القرآن والاحاديث خلاف ما ذكر من كتب جهلة المسيحيين الكاذبة او من تأليفات اصحاب البدع الساقطة ولكن اكتفينا بما تقدم فان ما قلناه فيه الكفاية

ويناسب قبل ختام هذا الفصل ان نستفهم قائلين . بما ان محمداً انتحل مطالب كثيرة من كتب باطلة لا اصل لها فهل اتخذ ايضاً بعض المطالب من العهد الجديد يعني من الاناجيل او من رسائل الحواريين خلاف ما اتخذه عن ولادة المسيح عيسى بن مريم العذراء وعن عمله المعجزات وآيات كثيرة أو هل اكتفى بما تقدم

قلنا الجواب على هذا السوال المهم هو . اعلم انه توجد آية واحدة فقط في القرآن مقتبسة من الانجيل وكذلك وردت عبارة في الاحاديث ربما هي مأخوذة من رسائل بولس الرسول ولنذكرها فنقول

(١) ورد في (سورة الاعراف ٧ الآية ٣٨) « إِنَّ

أُلذِينَ كَذَّبُوا بِأَيَاتِنا وَاستكبرُوا عنها لاَ تفتَّحُ لهُم أَبوابُ السماء وَلا يدْخُلُونَ الجنَّةَ حتى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخياطِ » فالشطر الاخير من هذه الآية مأخوذ من احد الاناجيل لانه ورد في ([1] انجيل لوقا الاصحاح ١٨ الآية ٢٥) ما نصهُ «لان دخول جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله » وكذلك ورد مثل هذه الآية في (انجيل متى الاصحاح ١٩ الآية ٢٤) و(انجيل مرقس الاصحاح ١٠ الآية ٢٥)

(٢) ورد في الاحاديث عن ابي هريرة ان محمداً قال ان الله سبحانه وتعالى قال « اعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »(مشكاة المصابيح صحيفة ٤٨٧) فاعلم ان هذه العبارة هي مقتبسة من رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل كورنثوس[2] (الاصحاح ٢ الآية ٩) ونصها « ما لم ترَ عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما اعدَّه الله للذين يحبونه » انتهى

---

(١) انظر الملحق (نمره ٤٤)
(٢) انظر الملحق (نمره ٤٥)

والحاصل انه لا يمكن انكار ما ذهب اليه المعترضون من ان الانجيل وباقي كتب المسيحيين ولا سيما مؤلفات اصحاب البدع الباطلة هي احد مصادر تعاليم الديانة الاسلامية فاخذ منها محمداً ما اخذهُ

الفصل الخامس

في النظر والبحث فيما ذهب اليه المعترضون من ان
بعض اركان القرآن والاحاديث أخذت
من كتب اصحاب زردشت
والهنود القديمة

عُلِمَ من نصوص مؤرخي العرب واليونان ان ملوك الفرس كانوا متسلطين على كثير من ممالك العرب وذلك قبل مولد محمد وفي عصرهِ ايضاً . قال ابو الفداء ان (كسرى انوشيروان) ارسل جيوشه الى مملكة حيرة وعزل حارث ملكها و ولّى عوضاً عنه رجلاً من رعاياه اسمه (منذر ماء السماء) و بعد ذلك ارسل هذا الملك الطائر الصيت والذائع الاسم عساكره تحت

امرة وَهْرَزَ الى بلاد اليمن ولما طرد الحبش فاول شيء فعله هو انه ولّى ابا السيف على مملكة اسلافه (انظر تاريخ أبي الفداء باب٢) ولكن بعد قليل تولّى وهرز نفسه على مملكة اليمن وسلّم لذريته السيادة (سيرة الرسول لابن هشام صحيفة ٢٤ و ٢٥) وقال ابو الفداء ما نصه « كانت المناذرة آل نصر بن ربيعة عمالاً للاكاسرة على عرب العراق » (باب ٢) اما من جهة اليمن فقال ايضاً ما نصهُ « ثم ملك اليمن بعدهم (اي بعد اهل الحمير) من الحبشة اربعة ومن الفرس ثمانية ثم صارت اليمن للاسلام » انتهى . فيتضح من هذا انه كان بين اهل الفرس و بين العرب مخالطة تامة ومواصلة عامة في ايام محمد بل قبل ايامه . وبما ان الفرس كانوا متقدمين في العلوم وفي المدنية اكثر من العرب في زمن الجاهلية كان لا بد ان دينهم وعلومهم وعاداتهم ورسومهم أثرت تأثيراً عظيماً على العرب . ويتضح من التواريخ ومن شهادة المفسرين على القرآن ان قصص العجم واشعارهم تواترت في ذلك الوقت بين قبائل جزيرة العرب وتداولت بينهم تداولاً عاماً وهذا يطابق ويوافق ما رواه ابن هشام حيث قال. انه لم يسمع

العرب في عصر محمد قصص رستم واسفنديار وملوك فارس القدماء فقط بل ان بعض قريش استحسنوها وفضّلوها على القصص الواردة في القرآن وهاك نص عبارة ابن هشام قال « والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فدعا فيه الى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما اصاب الامم الخالية خلفهُ في مجلسه اذا قام فحدّثهم عن رستم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ثم يقول والله ما محمد باحسن حديثاً مني وما حديثه الا اساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبتُها » فانزل الله فيه « وقالوا اساطيرُ الاولين اكتتبها فهي تُملى عليهِ بكرةً واصيلاً قلْ أنزلهُ الذي يعلمُ السرَّ في السمواتِ والارضِ انهُ كان غفوراً رحيماً » (سورة الفرقان ٢٥ الآية ٦ و ٧) ونزل فيهِ « اذا تتلى عليهِ آياتنا قال أساطير الاولين » (سورة القلم ٦٨ الآية ١٦) ونزل فيهِ « ويلٌ لكلِ أفاكٍ أثيم يسمعُ آياتِ اللهِ تتلى عليهِ ثم يُصِرُّ مستكبراً كأنْ لم يسمعها فبشّرْهُ بعذابٍ أليم » (سورة الجاثية ٤٥ الآية ٦ و ٧) ولاشك ان هذه القصص

عن رستم واسفنديار وملوك فارس هي القصص التي اخذها الفردوسي بعد محمد باجيال من مجموعة قصص لاحد الفلاحين ونظمها شعراً ودونت في الشاهنامة . ونقول قولاً اكيداً لا ينكر بانه بما ان العرب طالعوا قصص وتواريخ ملوك الفرس لا يتصور انهم كانوا يجهلون قصة جمشيد ولا يتصور ايضاً انهم كانوا يجهلون خرافات الفرس عن معراج (أرْتاويراف) و (زَرْدُشت) و وصف الفردوس وصراط (چينوَد) وشجرة حواَية وقصة خروج أهْرمَن من الظلمات الاولية بل لا بد انهم كانوا يعرفونها حق المعرفة . والمتعين علينا الآن ان نبحث بالتدقيق ونتحرى بالتحقيق فيما اذا كانت هذه القضايا وما شابهها اثرت في القرآن ذاته وفي الاحاديث المتواترة بين المسلمين ام لم تؤثر فيهما . والمعترضون المزيفون للقرآن يؤكدون ان كل قضية من هذه القضايا اثرت تأثيراً مهماً على القرآن والاحاديث الى درجة بليغة حتى أصبحت قصص قدماء الفرس واعتقاداتهم احد مصادر الاسلام . وزد على هذا ان هؤلاء المعترضين قالوا ان كثيراً من الخرافات التي كانت متداولة في بلاد الفرس في قديم الزمان

لم تقتصر على بلاد فارس فقط بل تناولت قدماء الهنود وانتشرت بينهم ايضاً لان اجداد الهنود زحفوا من هرات الى الهند واستوطنوها . فبعض تلك الاوهام والاراء والمذاهب هي ميراث كل من هاتين الامتين الادبي والديني يعني ان آدابهم ودياناتهم مبنية على هذه الاوهام والاراء التي ورثوها عن السلف . ومع ان مصدر ومنشأ بعضها كان في بلاد فارس بعد توطن اجداد الهنود في الهند ولكنها مع تمادي ومرور الاوان وصلت الى الهند وسرت الى اهلها فتمسكوا بها . ولكن بما انه لا يجوز التسليم بصحة قول المعترضين بدون ان يقيموا برهاناً شافياً وياتوا ببينة قوية وجب ان نطالب منهم ان ياتوا ببرهانهم ان كانوا صادقين . فقالوا يلزم لتأييد كلامنا ان نورد بعض ايات القرآن والاحاديث وننظر فيها نظر مدقق محقق ثم نقارنها بما ورد في كتب الفرس والهند القديمة عن مثل هذه الامور او ما اشبهها

(١) قصة معراج محمد النبأ عن المعراج في ليلة الاسرى ورد في القرآن في سورة الاسرى وتسمى ايضاً سورة بني

اسرائيل (١٧ الآية ١) « سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الذي بَارَكْنا حَوْلَهُ لِنرِيَهُ مِنْ آيَاتِنا إِنَّهُ هُوَ السميعُ البصيرُ » فاختلف المفسرون اختلافاً عظيماً في تفسير هذه الآية فقال ابن اسحق انه ورد في الاحاديث ان عائشة كانت تقول «ما فُقِدَ جسدُ رسول الله صلعم ولكن الله اسرى بروحه » وورد في الاحاديث ايضاً ان محمداً ذاته قال « تنام عيني وقلبي يقظان » (سيرة الرسول صحيفة ١٣٩) ويفهم مما قاله محيي الدين في تفسيره على هذه الآية ان هذا المفسر فهم المعراج والاسرى بطريقة مجازية واستعارية لانه قال «سبحان الذي اسرى اي انزهه عن اللواحق المادية والنقائص التشبيهية بلسان حال التجرد والكمال في مقام العبودية الذي لا تصرف فيه اصلاً ليلاً اي في ظلمة الغواشي البدنية والتعلقات الطبيعية لان العروج والترقي لا يكون الا بواسطة البدن من المسجد الحرام اي من مقام القلب المحرّم عن ان يطوف به مشرك القوى البدنية ويرتكب فيه فواحشها وخطاياها ويحجه غويّ القوى الحيوانية من

البهيمية والسبعية المنكشفة سواتاً افراطها وتفريطها لعروها عن لباس الفضيلة الى المسجد الاقصى الذي هو مقام الروح الا بعد من العالم الجسماني بشهود تجليات الذات وسبحات الوجه وتذكر ما ذكرنا ان تصحيح كل مقام لا يكون الا بعد الترقي الى ما فوقه لتفهم من قوله لنريه من اياتنا مشاهدة الصفات فان مطالعة تجليات الصفات وان كانت في مقام القلب لكن الذات الموصوفة بتلك الصفات لا تشاهد على الكمال بصفة الجلال الا عند الترقي الى مقام الروح اي لنريه ايات صفاتنا من جهة انها منسوبة الينا ونحن المشاهدون بها البارزون بصورها» (تفسير سورة بني اسرائيل) فاذا اعتمدنا على قول محمد ذاته وقول عائشة وتفسير محيي الدين كان معراج محمد مجازياً واستعارياً وليس حقيقياً غير ان ما ذهب اليه ابن اسحق وغيره هو منافٍ لهذا الرأي لان ابن اسحق قال ان محمداً قال ان جبريل ايقظه مرتين وانه نام ثانية ثم ساق الكلام قائلاً « فجأني الثالثة فهمزني بقدمه فجلستُ فاخذ بعضدي فقمتُ معه فخرج الى باب المسجد فاذا دآبّة ابيض بين البغل والحمار في فخذيه

جناحان يحفز بها رجليه يضع يده في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا افوته ـ قال ابن اسحق وحُدثت عن قتادة انه قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت لأركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا بُراق مما تصنع فوالله يا براق ما ركبك عبدالله قبل محمد اكرم على الله منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقاً ثم قرّ حتى ركبتهُ قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به الى بيت المقدس فوجد فيه ابرهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم اتى بانائين في احدهما خمر وفي الاخر لبن قال فاخذ رسول الله صلعم اناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر قال فقال له جبريل هديت للفطرة وهديت امتك يا محمد وحرمت عليكم الخمر ثم انصرف رسول الله صلعم الى مكة . فلما اصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال اكثر الناس هذا والله الامر البيّن والله ان العير لتطرد شهراً من مكة الى الشام مدبرة

وشهراً مقبلة أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة » (سيرة الرسول لابن هشام صحيفة ١٣٨ و ١٣٩) وورد في مشكاة المصابيح ما نصهُ « عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله (صلعم) حدثهم عن ليلة أُسريَ به بينما انا في الحطيم و، بما قال في الحجر مضطجعاً ان أتاني آتٍ فشق ما بين هذه وهذه (يعني من ثغرة نحره الى شعرته) فاستخرج قلبي ثم أُتيتُ بطست من ذهب مملوء ايماناً فغُسل قلبي ثم حشي ثم اعيد . وفي رواية ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ ايماناً وحكمة ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق يضع خطوة عند اقصى طرفه . فحملت عليهِ فانطلق بي جبرائيل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أُرسل اليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح. فلما خلصتُ فاذا فيها آدم فقال هذا ابوك آدم فسلِّم عليه فسلمتُ عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال

محمد قيل وقد أُرسل اليه قال نعم قيل مرحباً بهِ فنعم المجيء جاء ففتح. فلما خلصتُ اذا يحيي وعيسى وهما ابناء خالة قال هذا يحيي وهذا عيسى فسلِّم عليهما فسلمتُ فردَّا ثم قالا مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أُرسلَ اليه قال نعم قيل مرحباً بهِ فنعم المجيء جاء ففتح. فلما خلصتُ اذا يوسف قال هذا يوسف فسلّم عليهِ فسلمتُ عليهِ فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصتُ فاذا ادريس فقال هذا ادريس فسلم عليه فسلمتُ عليه فردّ ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح قِيل من هـذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أُرسل اليهِ قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح. فلما خلصتُ فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمتُ عليه فردّ ثم قال

مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أُرسل اليهِ قال نعم قيل مرحباً فنعم المجيء جاء ففتح . فلما خلصتُ فاذا موسى قال هذا موسى فسلِّم عليهِ فسلمتُ عليهِ فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح . فلما جاوزت بكى قيل لهُ ما يبكيك قال ابكي لان غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من امتهِ اكثر ممن يدخلها من امتي. ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بُعث اليهِ قال نعم قيل مرحباً بهِ فنعم المجيء جاء . فلما خلصتُ فاذا ابرهيم قال هذا ابوك ابرهيم فسلِّم عليهِ فسلمتُ عليهِ فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم رُفعتُ الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثلُ قلال هجَرَ واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذا سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلتُ ما هذان ياجبرائيل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع لي البيت المعمور ثم أُوتيت

باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة انت عليها وامتك » (مشكاة المصابيح من صحيفة ٥١٨ الى ٥٢٠) ثم ساق الكلام وذكر اشياء اخرى كثيرة تختص بمعراج محمد منها بكاء آدم وغيره مما لا لزوم الى ذكره هنا ولننظر فيما اذا كان ما ذكر عن معراج محمد أُخذ من قصة قديمة مشابهة لها ام لا . واذا سأل سائل وقال ما هي هذه القصة التي اخذت منها قصة المعراج قلنا في الجواب عن ذلك . اذا سرحنا الطرف في كتاب يسمى (أَرتَاوِيرَاف نَامَكْ) مؤلف باللغة البهلاوية اي اللغة الفارسية القديمة منذ ٤٠٠ سنة قبل الهجرة في ايام (أَرْدَشِيرْ بَابكَانْ) ملك الفرس رأينا في هذا الكتاب اصل هذه القصة . وبيان ذلك انه لما اخذَتْ ديانة (زَرْدُشْت) في بلاد الفرس في الانحطاط ورغب المجوس في احيائها في افئدة الناس وتجديد رونقها انتخبوا شاباً من اهل زَرْدُشْت اسمه (أَرْتَاوِيرَاقْ) وارسلوا روحه الى السماء ووقع على جسده سبات وغاية سفره الى السماء الاطلاع على كل شيء فيها ويأتيهم بنبإ . فذُكِرَ في هذا الكتاب ان

هذا الشاب عرج الى السماء بان ارشده وقاده رئيس من رؤساء الملائكة يقال له (سَرُوشْ) فجال من طبقة الى اخرى وترقّى بالتدريج الى اعلى فاعلى . ولما اطلع على كل شيء امره (أَوْرْمَزْد) الاله الصالح سند وعضد مذهب (زَرْدُشْت) ان يرجع الى الارض ويخبر الزَرْدُشتيّةَ بما شاهد وعاين ودونت هذه الاشياء بحذافيرها وكل ما جرى له في اثناء معراجه في كتاب (أَرْتاوِيراف نامك) ولنترجم عبارتين او ثلاث عبارات من هذا الكتاب لننظر اذا كانت توجد مناسبة ومشابهة بين معراج محمد و بين معراج (أَرْتا فِيراف) الوهمي

فورد في (أَرْتا وِيرَاف نامَك[1]) (فصل ٧ وفقرة ١ الى ٤) ما نصه « وقدّمتُ القدم الاول حتى ارتقيت الى طبقة النجوم في (حُوَمَتْ) ..... ورأيت ارواح اولئك المقدسين الذين ينبعث منهم النور كما من كوكب ساطع ويوجد عرش ومقعد باهٍ باهر رفيع زاهر جدًّا . ثم استفهمت من (سَرُوُش) المقدّس ومن الملاك (آذر) ما هو هذا المحل ومن هم هؤلاء

(١) انظر الملحق (نمرة ٤٦)

الاشخاص » انتهى

ومما يجب الالتفات اليه شرح وتفسير هذه العبارة هو ان المراد بقولهم طبقة الكواكب هو الحياط الاول او الادنى من فردوس الزَرْدُشتية وان (آذر) هو الملاك الذي له الرئاسة على النار و (سرُوش) هو ملاك الطاعة وهو احد المقدسين المؤبدين اي الملائكة المقربين لديانة زَرْدُشْت وهو الذي ارشد (أرْتا ويرَافُ) في جميع انحاء السماء واطرافها المتنوعة كما فعل جبرائيل بمحمد

و بعد هذا ساق الكلام على كيفية وصول (أرْتاوِيراف) الى طبقة القمر وهي الطبقة الثانية ثم يليها طبقة الشمس وهي الطبقة الثالثة في السموات وعلى هذه الكيفية أرشدهُ الى باقي السموات و بعدهذا ورد في (الفصل[1] ١١) ما نصهُ « واخيراً قام رئيس الملائكة (بَهمنْ) من عرشهِ المرصع بالذهب فاخذني من يدي واتى بي الى (حُومت) و (حُوخْت) و (هُورَست) بين (أوْرْمَزد) ورؤساء الملائكة وباقي المقدسين

(١) انظر الملحق (نمرة ٤٧)

وجوهر (زَرْدُشت) السامي العقل والادراك وسائر الامناء واثمة الدين. ولم أرَ ابهى منهم رواء ولا ابصر منهم هيئة . وقال (بَهمن) هذا (أوْرْمزد) ثم اني اردتُ ان أسلِّم عليهِ فقال لي السلام عليك يا أرتاويراف مرحباً انك اتيت من ذلك العالم الفاني الى هذا المحل الباهي الزاهر ثم أمر (سروش) المقدس والملاك (آذر) قائلاً احملا أرتاويراف وارياهُ العرش وثواب الصالحين وعقاب الظالمين ايضاً . واخيراً أمسكني (سروش) المقدس والملاك (آذر) من يدي وحُملتُ منهما من محل الى آخر فرأيت رؤساء الملائكة أولئك ورأيتُ باقي الملائكة

ثم ذكر ان (أرتاويراف) شاهد الجنة وجهنم واخيراً ورد في (فصل[1] ١٠١) ما نصهُ « اخيراً اخذني (سروش) المقدس والملاك (آذر) من يدي واخرجاني من ذلك المحل المظلم المخيف المرجف وحملاني الى محل البهاء ذلك والى جمعية (أوْرْمزَد) ورؤساء الملائكة فرغبتُ في تقديم السلام امام (أورمزَد) فاظهر لي التلطف قال يا أرتاويراف المقدس العبد الامين يارسول

(١) انظر الملحق (نمرة ٤٨)

عبدة (أورمزد) اذهب الى العالم المادي تكلم بالحق للخلائق حسب ما رأيت وعرفت لاني انا (الذي هو اورمزد) موجود هنا . من يتكلم بالاستقامة والحق انا اسمعهٔ واعرفهٔ تكلم انت الحكماء . ولما قال أورمزد هكذا وقفت باهتاً لاني رأيت نوراً ولم أر جسماً وسمعتُ صوتاً وعرفتُ ان هذا هو اورمزد » انتهى

فيتضح جلياً من هذا وجود مشابهة عجيبة بين قصة معراج (أرتاويراف) الكاهن المجوسي و بين ما تقدم ذكره بخصوص معراج محمد ويوجد عند (الزردشتية) حكاية اخرى عن زردشت نفسهِ خلاف هذه القصة التي اوردناها هنا . و بيان ذلك انه قبل ذلك الزمان بعدة اجيال عرج زردشت ذاته الى السماء ثم استأذن لمشاهدة جهنم ايضاً فرأى فيها (أهْرَمن) اي ابليس و وردت هذه القصة بالتفصيل التام في كتاب مفتعل يسمى (زردشتنامه) ولم تتواتر امثال هذه الخرافات بين الفرس فقط بل تواترت بين الهنود عبدة الاصنام ايضاً لانه يوجد بلسان (سنْسكرِتْ) وهي لغة الهنود القديمة كتاب يدعى (إِندَرلوكاكمتم) يعني السياحة الى عالم (إِندَرَه) فذهب الهنود الى ان اندَرَه

هو اله الجوّ وذُكر في هذا الكتاب ان شخصاً اسمهُ (أرجنه) وصل الى السماء وشاهد كل شيء فيها وورد في هذا الكتاب ان (أرجنه) نظار قصر (إندرَه) السماوي واسمهُ (وَيْونتي) وهذا القصر في بستان يسمى (نَنْدَنَمْ) وورد في الكتب الهندية ان في ذلك المحل مجاري ابدية تروي النباتات الخضرة النضرة الزاهية الزاهرة وفي وسط ذلك البستان السماوي شجرة تسمى (پكْشَجَتِي) تثمر اثماراً تسمى (أمْرَته) اي البقاء فمن اكل من ثمرها لا يموت ولن يموت. وهذه الشجرة مزينة بالازهار الزاهية ذات الوان متنوعة رائعة ومن استظل بظلالها الوارفة منح كل منية تمناها وبغية اشتهاها في قلبهِ وابتغاها ولا شك ان هذه الشجرة هي التي يسميها المسلمون الطوبى

وكذلك يعتقد الزَرْدُشتيه بوجود شجرة عجيبة تسمى بلغة (أوَستا) (حواپَة) وتسمى باللسان البهلوي (حوُمَيا) ومعناها مروية بماء رائق فائق. ووصفت في الكتاب المعروف باسم (وندْيداد[1]) (فصل ٥) بما نصهُ « تأتي المياه في الصفاء من

(١) انظر الملحق (نمرة ٤٩)

بحر (پُوئِتِكَهْ) الى بحر (وَوْؤُرْكَشهْ) والى شجرة (حواپَهْ) فتنبت هناك كل النباتات على اختلاف انواعها » . انتهى . ومن الواضح ان هذه الشجرة هي ذات شجرة الطوبى وهي مثل (پكْشَجِي) شجرة الهنود

واعلم ان كثيراً من هذه الاشياء لم ترد فقط في كتب الهنود (والزردُشتية) بل وردت ايضاً في بعض الكتب الكاذبة التي كانت متداولة عند اصحاب البدع والضلالات من المسيحيين في الازمنة القديمة ولا سيما في الكتاب المسمى عهد ابرهيم الذي تقدم ذكره وفي كتاب آخر يسمى (رؤيا بولس) فورد في الكتاب المسمى عهد ابرهيم ان ابرهيم عرج بارشاد احد رؤساء الملائكة الى السماء وشاهد كل ما فيها وورد في الكتاب المسمى رؤيا بولس ان بولس الرسول عرج كذلك وقد ضربنا عن ذكره صفحاً اكتفاء بما تقدم . وانما نورد عبارة من عهد ابرهيم وهي « ونزل رئيس الملائكة ميخائيل واخذ ابرهيم في عربة كروبية ورفعهُ في اثير السماء واتى به وبستين ملاكاً من الملائكة على السحاب فساح ابرهيم على كل المسكونة في مركب »

(عهد[1] ابرهيم صورة ١ فصل ١٠)

فهذا هو اصل المركب المسمى البراق الوارد ذكره في الاحاديث الاسلامية ولعل اشتقاق (البراق) من لفظة عبرية تسمى (بَارَاقْ) ومعناها البرق ويوجد ما يشبه ذلك في الكتاب الكاذب المعروف باسم كتاب اخنوخ (فصل ١٤) فورد في هذه الكتب كلام على تلك الشجرة السماوية والاربعة انهر وقال اليهود عن شجرة الحياة التي كانت في جنة عدن ان مسافة ارتفاعها سفر ٥٠٠ سنة (ترجوم يوناثان) ورووا ايضاً روايات اخرى عجيبة عنها . وبما ان المسلمين توهموا ان جنة عدن التي خُلِقَ فيها آدم هي في السماء وجب ان نبحث عن منشأ هذا الخطأ والوهم فنقول . ان مصدره الكتب الموضوعة ولا سيما (رؤيا بولس فصل ٤٥) ولا نعرف اذا كان اصحاب البدع الذين اختلقوا وافتعلوا هذه الكتب اتخذوا هذه الاشياء وغيرها من كتب الزردُشتية والهنود ام لا . الاّ انهُ من المؤكد الذي لا ريب فيه ان هذه القصص هي كاذبة ولا يصدقها عاقل ولم يقبل احد

---

(١) انظر الملحق (نمره ٥٠)

من المسيحيين هذه الكتب سواء كان في الازمنة القديمة او في الازمنة الحديثة بل نبذها الجميع نبذ النواة ولم يعتقد احدهم بانها كتبت بوحي والهام بل هي سُطرت لفئة صغيرة من جهلة اصحاب البدع والضلالات . ولا توجد الآن الاّ في بعض مكاتب قليلة على سبيل الفكاهات وللدلالة على جهل وحماقة الفِرَق المبتدعة التي قبلت بعضها بدون ادنى برهان ولا دليل على صحتها واعتمادها بل نقول انها قبلتها مع توفر الادلة على بطلانها وفسادها

واذا سأل سائل وقال اذا كانت الخرافات المختصة بمعراج (أرْتاويراف) و (زَرْدُشت) و (ابرهيم) و (أرْجنه) هي بلا اصل ولا مستند ولا اساس في الواقع ونفس الامر وان الواجب نبذها ورفضها ألاَ يجب أيضاً عدم تصديق التواريخ الواردة بخصوص اخنوخ وايليا والمسيح انهم صعدوا الى السموات . قلنا لا يصعب على الذكي النبيه الرد على ذلك فمن البديهي انه لا يمكن وجود نقود زائفة ما لم توجد نقود صحيحة حقيقية متقدمة في الوجود عليها . فان النقود الزائفة عُمِلت على منوال النقود الصحيحة لغش الجاهل والمغفل او الساهي . ولا

يجوز لعاقل ان يرفض التعامل بجميع النقود لوجود نقود زائفة في بعض الاحيان بل نقول ان وجود النقود الزائفة تدل دلالة واضحة على وجود نقود صحيحة لا غش فيها . فكذلك يصدق القول على المعجزات لانه لولا وجود معجزات صحيحة لما أُدُّعي بمعجزات كاذبة. ولولم يوجد دين حقيقي صحيح لما وجدت الاديان الكاذبة ولولم يشتهر صعود رجال حقيقة الى السماء لما رأينا هذه الخرافات المختلفة بلغات شتى بين ملل و نِحَل عديدة . والحكيم من نقد النقود التي تعرض عليه قبل قبولها ودقة النقد تظهر النقود الزائفة من الصحيحة لان النقد يظهر ان بينها فرقاً جسيماً وهذا هو سبب اعتقاد المسيحيين اعتقاداً جازماً بصحة ما ورد في الكتب المقدسة من القصص عن صعود اخنوخ وايليا والمسيح ورفضهم القصص الاخرى التي ذكرناها . والفرق بين الصدق والكذب هو ظاهر كالصبح اذا طالعنا ما ورد في الكتاب المقدس عن صعود اخنوخ وايليا والمسيح وقارنا بين هذه القصص البسيطة التي لها رنة النقود الحقيقية الصحيحة و بين القصص الكاذبة التي تقدم ذكرها . اما من جهة اخنوخ فورد في (سفر

التكوين الاصحاح ٥ الآية ٢٤) ما نصهُ « وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لان الله اخذه » واما عن ايليا فورد في (سفر الملوك الثاني الاصحاح ٢ الآية ١١ و١٢) ما نصه « وفيما هما(اي اليشع وايليا)يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار فقصلت بينهما فصعدايليا في العاصفة الى السماء وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة اسرائيل وفرسانها ولم يره بعد » اماصعود المسيح فذكر في (اعمال الرسل الاصحاح ١ الآية ٩ ـ ١١) ما نصهُ « ولما قال هكذا (اي المسيح) ارتفع وهم ينظرون واخذتهُ سحابة عن اعينهم وفيما كانوا يشخصون الى السماء وهو منطلق اذا رجلان قد وقفا بهم بلباس ابيض وقالا ايها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء »

فهذه القصص الحقيقية سلمها لنا الذين شاهدوها باعينهم وهي منزهة عن الحكايات المطولة الوهمية الخرافية عما في السموات . ولا شك ان القصص الكاذبة تختلف اختلافاً بيّناً من القصص الحقيقية بحيث يسهل التمييز بين التواريخ المسطرة

عن الحوادث الواقعية الحقيقية و بين الحكايات الملفقة المختلقة التي يخترعها الناس للاغراب والاعجاب وارضاء اميال الناس الذين يتولعون بمعرفة المجهولات التي سترها الله وراء الحجاب وحجبها عن الالباب

قال الرسول بولس في احدى رسائله « اعرف انساناً في المسيح قبل اربعَ عشرة سنة أفي الجسد لست اعلم ام خارج الجسد لست اعلم الله يعلم اُختطف هذا الى السماء الثالثة .... وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لانسان ان يتكلم بها » (كورنثوس الثانية الاصحاح ١٢ الآية ٢ — ٤) غير انه ورد في الكتاب الموضوع المسمى رؤيا بولس نبأ مطول عما رآه بولس وسمعه هناك ومن هذا يظهر الفرق بين الحق والكذب . فالفرق بين الاناجيل الموضوعة و بين الاناجيل الصادقة الصحيحة هو ظاهر للقارئ النبيه كالفرق الموجود بين كتاب الف ليلة وليلة و بين كتاب الواقدي . فاحدهما يشتمل على خرافات فارغة والآخر يشتمل على تواريخ حوادث حقيقية حصلت فعلاً . واذا سأل سائل وقال ما هو اصل الخرافات الواردة عن شجرة

الطوبى او سدرة المنتهى او الاربعة انهر السماوية . قلنا في الجواب عن ذلك ان هذه الخرافات نشأت من القصة البسيطة الصحيحة الواردة في(سفر التكوين الاصحاح ٢ الآية ٨—١٧) فانه لما كان الجهلة السذج الميالون الى تصديق الخرافات لا يعرفون ان جنة عدن كانت بقرب بابل و بغداد حوّلوا باوهامهم الجامحة وتصوراتهم الشاردة حق الله الى اكاذيب بزياداتهم ومبالغاتهم وغيّروا الوقائع التاريخية والجغرافية الى خرافات لا اصل لها

(٢) في اصل ما ذكر في القرآن والاحاديث بخصوص الجنة والحور والغلمان والجن وملك الموت وذرّات الكائنات . لا شك ان كل مسلم لهُ المام تام بهذه الامور يعرف حق المعرفة ما ورد عنها في القرآن وفي الحديث ولذلك لا لزوم ان نسرد كل تفاصيلها هنا . غير ان المعترضين ذهبوا الى ان مصدر ومنشأ كل هذه التعاليم هو كتب الزردشتية. ولا شك ان كل مطّلع على التوراة والانجيل يرى انهُ لا يوجد اثر لها مطلقاً في كتاب من كتب الانبياء او الحواريين غاية الامر ان كلا من الانبياء والرسل افاد انهُ يوجد محل راحة للمؤمنين الحقيقيين وهذا المحل

يسمونه حضن ابرهيم او الجنة اوالفردوس. ولكن لا يخفى انه لم يرد ذكر الحُور او الغلمان في كتب الرسل او الانبياء غير ان هذه الاشياء ذكرت في كتب (الزرُدشتية) والهنود ومن العجب العجاب ان ما ورد في هـذه الكتب يشابه مشابهة غريبة وعجيبة لما ورد في القرآن والحديث بخصوص هذه الاشياء

مثلاً ان ما قالهُ المسلمون عن الحور كما ورد في (سورة الرحمن ٥٥ الآية ٧٢) ونصهُ « حُورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ » (وفي سورة الواقعة ٥٦ الآية ٢٢) ونصهُ « وحُورٌ عِينٌ كامثال اللؤلؤ المكنونِ » هو لا شك مأخوذ مما قاله (الزردُشتية القدماء) عن بعض ارواح غادات اسمهنّ (پيرِكانِ) ويسميها الفرس المتأخرون (پَريان) لان الزردشتية زعموا ان ارواح هذه الغادات سكنت في الهواء ولها علاقة تامة بالكواكب والنور وكان جمال ارواح هاتهِ الغادات رائعاً حتى خلبت قلوب الرجال وذهب بعض العلماء الذين لا يعرفون غير العربية ان كلمة (حور) هي في الاصل لفظة عربية مشتقة من لفظة (حار) ولكن الارجح انها مأخوذة من

لغة (أوَستا) ومن اللسان البهلوي وهما لغتان من لغات الفرس القديمة لانه ورد في لغة (أوَستا) كلمة (حوَري) بمعنى الشمس وضوء الشمس و وردت في اللغة البهلوية (هور) وفي لغة الفرس الحديثة (ضور) بهذا المعنى اي الشمس وضوءها ايضاً . ولما ادخل العرب كلمة (حور) في لغتهم وكانوا لا يعرفون مصدرها واشتقاقها توهموا انها مأخوذة من فعل حار وظنوا ان سبب تسميتهنّ بالحور هو سواد اعينهنّ . ولم يرد ذكر هاته الغانيات السماويات في كتب قدماء الفرس فقط لانه يوجد في كتب قدماء الهنود أيضاً بعض قصص بخصوص الاشخاص الذين يسميهم المسلمون الحور والغلمان ويسميهم الهنود (أپسَرَسَسْ) و (كندُهروس) على سبيل اللف والنشر المرتب . وذهب الهنود الى انهم في السماء معاشرون مع الذين يظهرون البسالة في الحروب ويقتلون فيها . فان الهنود كانوا يعتقدون في الازمنة القديمة كالمسلمين ان كل من يُقتل في ساحة القتال كان جديراً بالدخول في السماء . مثلاً ورد في كتاب شرائع منوا (الفصل

الخامس البيت التاسع والثمانين[1]) ما نصهُ «الملوك الذين تكافحوا في الحروب باختيارهم قتل بعضهم بعضاً ولا يصرفون وجوههم (عن اخصامهم) ذهبوا من بعد الى السماء . . . لاقدامهم . انتهى
وكذلك ورد في الكتاب المسمى قصة (نَله) خطاب الاله (إندره) للملك (نله) بهذه الكلمات « اما حرَّاس الارض العدول والمحاربون الذين تركوا (أمل) الحياة الذاهبون في الوقت المعيّن الى الهلاك بالسلاح بدون ان يصرفوا وجوههم ان لهم هذا العالم الباقي » انتهى

فنرى من مثل هذه الاقوال ان قدماء عبدة الاصنام من الهنود توهموا كما توهّم المسلمون انه اذا قُتل انسان في لهو ان او حرب استحق الدخول في السماء وفردوس النعيم وعاشر الحور والغلمان المقيمين فيها . وكان اسلاف الانكليز وجميع سكان شمال اوروبا حينما كانوا وثنيين يعتقدون ان الغادات السماويات (ويسمونهن بالكوريات اي منتخبات المقتولين) كنّ يأتين الى ميدان الحرب ويحملن الى سماء اله الحرب ارواح الابطال

(١) انظر الملحق (نمره ٥١)

الذين قُتلوا في الكفاح

ثم ان المسلمين يعتقدون بوجود الجن غير ان اشتقاق كلمة جن او جني تدل على ان مأخذها هو من لغة اجنبية لانه لو كانت هذه الكلمة عربية وكانت مشتقة من الفعل (جنّ) لزم ان يكون مفردها جنينٌ على قياس ان لفظة قليلٌ مأخوذة من الفعل (قلّ) وذهب البعض الآخر الى ان هذه الكلمة مشتقة من جَنّة ولكن يلزم ان يكون مفردها جنيٌّ مع ان الامر هو خلافه . وزد على هذا انه لا علاقة للجن بالجنة لانه هاتين نهم الدخول فيها . والحقيقة هي ان هذه اللفظة مشتقة من سجبّرس القديمة لانها وردت في الكتاب المسمى أوستا وهو كتاب الزردُشتية المقدس ودستور دياناتهم بهذه الصورة والصيغة وهي (جيَني) ومعناها روح شرير فاخذ العرب الاسم والمسمى من (الزردُشتية)

يتضح مما ذكرناه اعلاه عن الميزان انه ورد في الاحاديث انه لما عرج محمد الى السماء رأى انه اذا نظر آدم الى الاسودة التي عن يمينه ضحك واذا نظر الى تلك التي على يساره ناح وبكى

وقد ظهر لنا قبلاً انه ورد ذِكر هذا الشيء ذاته في الكتاب الموضوع المسمى عهد ابرهيم ايضاً وان الكتاب المسمى عهد ابرهيم هو مصدر هذه الحكاية ومنشأها . غير انه يوجد هذا الفرق بين هاتين القصتين وهو ان الارواح الوارد ذكرها في كتاب عهد ابرهيم هم ارواح الاموات غير ان الاسودة المذكورة في الاحاديث هم ارواح اشخاص لم يولدوا بعد ويسميهم المسلمون (الذرّات الكائنات) ولا ينكر ان لفظة ذرّة هي عربية محض غير ان المسلمين اتخذوا الاعتقاد بوجود الذرّات الكائنات من قدماء (الزردُشتية) لان الزردشتية كانوا في قديم الزمان يعتقدون بمثل هذا الاعتقاد وعبارة (الأوَستا) هو ان كل ذرة كائنة تسمى (فروَشي) وتسمى باللغة البهلوية (فرُوهر) وذهب البعض الى انه يمكن ان الزردُشتية اتخذوا هذا الاعتقاد من قدماء المصريين ولكن على كل حال قد اتخذه العرب من (الزردُشتية) وادخلوه في دياناتهم

قد رأينا ان المسلمين اتخذوا من اليهود لقب ملَك الموت لان اليهود يطلقون عليه هذا اللقب بالعبري . اما من جهة اسم

هذا الملاك فكلا الفريقين يتفقان عليه ولا يوجد بشأنه سوى اختلاف زهيد بينهم . فاليهود يسمونه سمائيل والمسلمون يسمونه عزرائيل غير ان لفظة عزرائيل ليست لفظة عربية بل هي لفظة عبرية معناها نُصرةُ الله . ولم يرد اسم هذا الملاك في التوراة والانجيل . فيتضح اذن ان اليهود اقتبسوا معلوماتهم عنه من مصدر آخر والارجح ان مصدر معلوماتهم هو (الأوستا) فانه ورد فيها اذا وقع انسان في الماء او في النار او في اي شيء من هذا القبيل فغرق او احرق فلا يكون سبب موته الماء او النار بل ملاك الموت (لانهم زعموا ان هذين العنصرين وهما الماء والنار صالحان ولا يؤذيان الناس) ويسمى ملاك الموت بلغة اوستا) (أستوْوِيدْهوتُشْ) انظر كتاب (وَنديداد الفصل الخامس والاسطر ٢٥ الى ٣٥)

(٣) في قصة خروج عزازيل من جهنم لا يخفى ان المسلمين اتخذوا اسم عزازيل من اليهود فيسمونه بهذا الاسم وتوجد هذه اللفظة في التوراة بالاصل العبري (سفر اللاويين الاصحاح ١٦ الآية ٨ و١٠ و٢٦) ولكنهم اتخذوا قصة خروجه من جهنم

من الزردشتية كما يتضح من مقارنة اقوال الاحاديث بما ورد في كتاب پهلاوي يسمى (بوندهشنيه) اي الخليقة . فورد في (قصص الانبياء صحيفة ٩) ما نصه « خلق الله تعالى عزازيل فعبد عزازيل الله تعالى الف سنة في سجين ثم طلع الى الارض فكان يعبد الله تعالى في كل طبقة الف سنة الى أن طلع على الارض الدنيا » . انتهى . وورد في (عرائس المجالس وجه ٤٣) ان ابليس يعني عزازيل اقام ثلاثة آلاف سنة عند باب الجنة بالامل ان يضر آدم وحواء لامتلاء قلبه بالحسد . وورد في (بوندهشنيه) فصل[1] ١و٢) «ان أهرِمن) { يعني ابليس } كان ولا يزال في الظلام غير عالم بالاشياء الاّ بعد وقوعها وحريصاً على ايصال الضرر للاخرين وكان في القعر . . . . وذلك الميل للضرر وتلك الظلمة ايضاً هما محلٌ يسمونه بالمنطقة المظلمة وكان (أوْرْمَزْد) يعرف بعلمهِ التامّ بوجود أهرِمن لانه (اي أهرمن) يهيج نفسهُ ويتداخل بالميل للحسد حتى الآخر .... وكانا (اي أوْرْمزْد وأهرِمن) مدة ثلاثة آلاف سنة بالروح يعني كانا

---

(١) انظر الملحق (نمرة ٥٣)

بدون تغيير ولا حركة . . . . فالروح الضارّ لم يعرف بوجود (أوْرْمزد) لقصور معرفتهِ واخيراً طلع من تلك الهاوية وأتى الى المحل الباهي ولما شاهد نور (أَوْرْمَزْد) ذلك اشتغل بالاضرار » انتهى

فالفرق بين الاحاديث وبين هذا القول ظاهر لانه ذُكر في الاحاديث ان عزازيل كان يعبد الله قبل خروجه من سجّين . ولكن (الزرْدشتية) ذهبوا الى ان (أَهْرَمن) لم يدرِ بوجود (أَوْرْمَزْد) اولاً . ولكن توجد مشابهة ايضاً بين هاتين الروايتين وهي ان عزازيل وأَهْرِمَن دخلا الوجود في سجّين او في الهاوية وصعد كل منهما من ذلك المحل وبذلا جهدهما في الاضرار بخلق الله . وقبل ختام الكلام على عزازيل (او أَهْرَمن) لا باس من ايراد الدليل والبرهان على وجود علاقة ومناسبة بين هاتين القصتين فنقول . يتضح من الاحاديث ومن كتب (الزردشتية) ان الطاووس وافق من بعض الوجوه عزازيل الذي هو (أهرَمن) لانه ورد في قصص الانبياء انه لما جلس عزازيل امام باب الجنة ورغب في

الدخول فيها راى الطاووس الذي كان جالساً على الجنة واحداً
يتلو اسماء الله العظمى الحسنى . فقال له الطاووس من انت
فقال لهُ انا احد ملائكة الله عز وجل . فقال له الطاووس لماذا
انت جالس هنا. فقال له عزازيل انظرُ الجنة واتمنى الدخول
فيها . فقال له الطاووس لم أومر بادخال احد الى الجنة ما دام
آدم عليهِ السلام فيها. فقال له اذا كنت تأذن لي بالدخول فيها
اعلِّمك صلوة مَن تلاها نال ثلاثة اشياء احدها انه لا يكبر
وثانيها انه لا يصير عاصياً وثالثها انه لا يُطرَدُ من الجنة . فاخبره
ابليس بهذه الصلوة فتلاها الطاووس فطار من سور الجنة الى
الجنة ذاتها واخبر الحية بما سمعهُ من ابليس

وذُكر بعد هذا انهُ لما اهبط الله سبحانهُ وتعالى آدم
وحواء وابليس من الجنة الى الارض طرد الطاووس معهم
ايضاً. اما قصة الطاووس في كتب الزردشتية فتختلف عن هذا
غيرانهم في قديم الايام ظنوا انهُ مساعد لأهرمن لانهُ
ورد في كتاب ارمنى قديم يسمى ردّ البدع في الباب الثاني

تأليف (يزنيق[١]) ما نصهُ عن (الزردشتية) في تلك الاعصر «قالوا ان أهرمن قال انهُ ليس الحق انني لا اقدر ان اعمل شيئاً من الخير ولكنني لا اريدهُ وخلق الطاووس لاثبات هذا الكلام» . انتهى

فاذا كان أهرمن او عزازيل هو الذي خلق الطاووس فلا غرابة اذا كان هو الذي علمهُ وصار معينه وطُرد معهُ من الجنة

(٤) نور محمد . ورد في قصص الانبياء ان محمداً قال اول ما خلق الله نوري (صحيفة ٢ وكذلك صحيفة ٢٨٢) وذُكر في روضة الاحباب ان محمداً قال لما خُلق آدم وضع الله على جبهته ذلك النور وقال يا آدم ان هذا النور الذي وضعتهُ على جبهتك هو نور ابنك الافضل الاشرف وهو نور رئيس الانبياء الذي يُبعث . ثم ورد بعد ذلك ان ذلك النور انتقل من آدم الى شيث ومن شيث الى ذريته وهكذا بالتعاقب الى ان وصل الى عبدالله بن المطلب ومنهُ الى آمنة لما حبلت بمحمد . وورد ايضاً في الاحاديث ان محمداً قال ان الله تعالى قسّم النور الى اربعة

(١) انظر الملحق (نمره ٥٤)

اقسام وخلق العرش من قسم من هذه الاقسام وخلق القلم من قسم وخلق الجنة من قسم وخلق المؤمنين من قسم ثم قسّم هذه الى اربعة اقسام اخرى فمن افضل واشرف القسم الاول خلقني انا الرسول ومن القسم الثاني خلق العقل وجعلهُ في رأس المؤمنين ومن القسم الثالث خلق الحيآء وجعلهُ في اعين المؤمنين ومن القسم الرابع خلق العشق وجعلهُ في قلوب المؤمنين (قصص الانبياء صحيفة ٢)

فاذا بحثنا عن مصدر هذه القصة وجدناها ايضاً في كتب (الزردُشتية) (ولا شك انه يشتم من هذه القصة بعض رائحة ما ورد في تكوين الاصحاح ١ الآية ٣ ويوحنا الاصحاح ١ الآية ٤ و٥) لانهُ ورد في كتاب فارسي قديم يدعى (مِينُوِخرَدْ) أُلّف باللسان البهلوي في ايام ملوك الفرس الساسانية ان الخالق (أَوْرْمَزْد) خلق هذه الدنيا وجميع خلائقهِ ورؤساء الملائكة والعقل السماوي من نوره الخصوصي مع تسبيح الزمان الغير المتناهي . وذُكر هذا النور في كتاب

اقـدم من (المينوخرد) لانه ورد في يَشْتْ[1] ٢٩ بخصوص (يِمَه خشائته) المسمى الآن (جَمشيد) ما نصه « ان البهاء الملكي العظيم كان ملازماً لجمشيد صاحب القطيع الصالح مدة طويلة بينما كان هو متسلطاً على سبعة اقاليم الارض على الجن والانس والسحرة والجنيات والارواح الشريرة والعرافين والكهنة . . . . ثمَّ لما خطرت بباله تلك الكلمة الكاذبة الساقطة زال منه البهاء الظاهر بصورة طير . . . . . . وهو اي جمشيد صاحب القطيع الصالح لما لم يرَ بعد ذلك البهاء تحسَّرَ جَمُ ولما اضطرب اشتغل في احداث العداوة على الارض واول ما زال ذلك البهاء زال من جمشيد وزال ذلك البهاء من جَم ابن الشمس بصورة طير (وَراغ)[2] . . . . . فاخذ مِثْرَهْ ذلك البهاء ولما زال البهاء ثانية من جمشيد زال ذلك البهاء من جم ابن الشمس وفارقهُ بصورة طير (وَرَاغ) فاخذ فريدون ابن القبيلة الآثويانية ابن القبيلة

---

(١) انظر الملحق (نمره ٥٥)

(٢) الارجح ان معنى لفظة وَرَاغ هو مضيئ وهو يشبه كلمة بُراق او بَرق.

المشهورة بالبسالة ذلك البهاء لانهُ كان (فريدون) اعظم من فاز بين الفائزين ولما زال ذلك البهاء من جمشيد ثالثة زال ذلك البهاء من جم ابن الشمس بصورة طير (وَراغ) فاخذ (كَرَساَسْپَهْ) البطل ذلك البهاء لانهُ كان اقوى من الاقوياء » انتهى

فاذا قارنا بين هاتين القصتين رأينا ان جمشيد كان حائزاً على هذا النور العجيب مدة من الزمن . وكان جمشيد حسب تعاليم أوَستا اول رجل خلقهُ الله على الارض ومرادهم بهِ آدم ابو البشر . ولما سقط جمشيد في الخطية واقترف الزلل انتقل ذلك النور من واحد الى آخر من افضل اولادهِ بالتتابع وهذا يطابق ويوافق ما ذُكر في الاحاديث بخصوص نور محمد . فيتضح ان خرافة الفرس هذه القديمة هي مصدر ما رووهُ عن نور محمد ولا شك ان المسلمين اتخذوا هذه القصة من (الزردشتية) ومما يجب التنبيه عليهِ والالتفات اليهِ انهُ ورد في كتاب (الزردشتية) القديم ان الملك العظيم جمشيد تسلطن على الناس والجن والارواح الشريرة . فلا بد ان اليهود اتخذوا من هذه الرواية ما نسبوهُ الى الملك سليمان من القوة والسلطة على الناس

والجن الخ . واتخذ المسلمون من اليهود هذا الاعتقاد كما رأينا في الفصل الثالث من هذا المجلد . ولا يخفى ايضاً ان ما قالهُ المسلمون عن تقسيم نور محمد الى اقسام ورد بالتفصيل التام وان كانت تختلف صورة القصة عنهُ اختلافاً زهيداً لا يعتدُّ بهِ في كتاب فارسي قديم يدعى دَساتِير آسماني اي (الدساتير السماوية) في الباب الوارد بخصوص (زَرْدُشت) فنرى من ذلك ايضاً ان تفاصيل نور محمد مأخوذة من كتب (الزردشتية)

(٥) الكلام على الصراط . قال المسلمون ان محمداً قال انه بعد دينونة يوم الدين الاخيرة يؤمر جميع الناس بالمرور على الصراط وهو شيء ممدود على متن جهنم بين الارض والجنة وقالوا ان الصراط هو ادقّ من الشعرة واحدّ من السيف فيقع منهُ الكفار ويهلكون في النار . فمن اراد معرفة منشأ هذا القول وجب عليهِ اولاً ان ينظر في اشتقاق كلمة صراط لان اصلها ليس في اللغة العربية . فلا بد انها اخذت من لغة اخرى لان لفظة صراط هي معرَّبة فان اصلها فارسي . وبيان ذلك ان (الزردُشتية) يسمون الصراط (چِينوَد) وبما انهُ لا يوجد

حرف ج في الاحرف العربية كما لا يخفى فاستعمل بدلاً عنهُ حرف ص فكل كلمة غريبة تكون مبدوؤة بحرف ج ويراد تعريبها يبدَّل حرف ج الى ص. مثلاً (چين) تصير (صين) وعلى هذا القياس تكون لفظة صراط معربة عن (چِينوَد) ولم يتخذ المسلمون من قدماء الزردُشتية كلمة صراط فقط بل اتخذوا عنهم هذا الاعتقاد برمته كما يظهر من مجرّد التأمل في العبارة الآتية المأخوذة من كتاب (پهلوي) يسمى (دِينكَرْتْ[1]) في الجزء الثاني والفصل الحادي والثمانين في القسم الخامس والسادس من الفصل ونصه «أهربُ من الخطايا الكثيرة وأحافظ على نقاوة وطهارة سلوكي بحفظ طهارة قُوَى الحيوة الستّ وهي الفعل والقول والفكر والذهن والعقل والفهم حسب ارادتك يا مسبِّب الاعمال الصالحة العظيم. واني أودي عبادتك بعدالة بحسن الفكر والقول والعمل لاستمر في الطريق الباهية لكي لا اعاقب بعقاب جهنم الصارم بل اعبر على (چِينوَد) واصل الى ذلك المسكن المبارك المملوء من العطريات والمسرّ باجمعهِ

(١) انظر الملحق (نمرة ٥٦)

والباهر دائماً » انتهى

واعلم ان كلمة صراط وان كان معناها في الاصل يفيد الجسر الممدود فقط الى اخر ما تقدم الاَّ انهم توسعوا في معنى هذه الكلمة بعد ذلك فصارت تفيد الطريق كما وردت بهذا المعنى في سورة الفاتحة . ومعنى الصراط الحقيقي الذي لا يمكن ان يستفاد من العربية هو واضح اذا اطلعنا على اللغة الفارسية القديمة لانها مشتقة من كلمتين فارسيتين قديمتين معنى الواحدة منهما الاتحاد ومعنى الثانية معبر. فيفيد مجموع هاتين اللفظتين القنطرة التي ذهب الزردشتية الى انها توصل الارض بالجنة *

(٦) في ذكر قضايا قليلة مهمة . لما كان ذكر جميع الاشياء التي اتخذها المسلمون من الزردشتية بالاستيفاء الكافي والتفصيل الوافي لا يخلو من التطويل الممل اكتفينا بذكر ثلاثة او اربعة

* وُجد ما يشبه هذا المعنى بين اسلاف سكان شمال اوروبا كما يستدل من تسميتهم جسر أو قنطرة الالهة بقوس قزح وبما انهم اتوا بهذا المعنى من اسيا لما اتوا الى اوروبا واستعمروها فيتضح ان هذا المذهب هو قديم جداً

قضايا اخرى من هذا القبيل طلباً للاختصار. احدها ان المسلمين ذهبوا الى ان كل نبي شهد قبل موته للنبي الذي يأتي بعدهُ فذهبوا مثلاً الى ان ابرهيم شهد لموسى وشهد موسى لداود وهلم جرًّا. ولكن كل من طالع كتب الانبياء وجد الامر خلاف ذلك فانهُ يرى ان جميع الانبياء من اولهم الى آخرهم شهدوا للمسيح وحدهُ لا غير وبما ان المسلمين لم يتخذوا ما ذهبوا اليهِ من التوراة والانجيل وجب ان نبحث عن مصدر هذا الرأي فنقول يوجد كتاب من الكتب الزردشتية يسمى (دَساتِير آسماَنِي) اي الاسانير السموية. وهذا الكتاب ليس من الكتب المتأخرة الحديثة لان مصنف دَبستان مَذاهِب ومؤلّف البرهان القاطع ذكرا هذا الكتاب. وقالت الزردشتية كذباً وبهتاناً انهُ مكتوب بلغة السماء وتُرجم الى اللغة الدارية في عصر (خُسْرَوْ پَرْويز) احد قدماء ملوك الفرس. ولا يزال هذا الكتاب موجوداً باللغة الاصلية وبالكيفية المترجم اليها وطُبعَ في بونباي منذ سنين عديدة وقال (مُلّا فيرُوز) الذي طبع هذا الكتاب انهُ يشتمل على خمس عشرة رسالة نزلت على خمسة عشر نبياً اولهم مَهَاباد

واخرهم ساسان الخامس ومنهم زردشت الثالث عشر. وفي اخر كل رسالة من هذه الخمس عشرة رسالة ذِكر النبي الذي كان ينبغي ان يأتي بعدئذٍ في الوقت المعين. ولا شك ان هذا الكتاب هو من الكتب الموضوعة الكاذبة مع انهُ كان مؤلفاً في الاصل باللغة البهلوية قبل ان تُرجِمَ الى اللغة الدارية وبناءً على ذلك فهو كتاب قديم . والظاهر ان ما ذهب اليهِ الفرس من ان كل نبي تنبأ عن مجيء خلفه وقع موقعاً حسناً عند المسلمين فاتخذوه من كتاب الزردُشتية هذا. وثاني فقرة من كل رسالة من هذه الرسائل هي هذه « بسم الله المعطي الغافر الرحمن العادل » فكل انسان يرى ان هذه الكلمات توافق من بعض الوجوه البسملة التي افتتحت بها المائة وثلاث عشرة سورة من سوَر القرآن البالغة ١١٤ وهي «بسم الله الرحمن الرحيم» فالكلمات الاولى (البُونْدَهشنيه[١]) تشبهها ايضاً ونصها (باسم أُوْرْمزَد الصانع)

ومما يجب التنبيه عليهِ هو ان قدماء الزردُشتية كانوا

(١) انظر الملحق (نمره ٥٧)

يؤدون الصلاة خمس مرات كل يوم فيوجد اتفاق بين الزردُشتية وبين الصائبيين في هذا الامر. ورأينا ان الصلوات الخمس المفروضة على المسلمين تطابق خمساً من الصلوات السبع المفروضة على الصائبيين

(٧) ختام الكلام. واذا قال قائل لا يصح ان محمداً استحسن استحساناً تاماً قصص الزردُشتية ورسومهم حتى ادرجها في القرآن والاحاديث وايضاً لا يتصور ان هذا النبي الاميّ يعرف كل هذه الاشياء. قلنا ان المعترضين ردوا على هذا القول قائلين (اولاً) ورد في روضة الاحباب انهُ كانت عادة محمد المحادثة والمسامرة والمحاورة مع كل من يقصدهُ على اختلاف مللهم ونحلهم وكان يخاطبهم بالفاظ قليلة من لغتهم وبما انهُ كان كثيراً ما يتكلم بالفارسية تداولت بعض الالفاظ الفارسية في اللغة العربية و (ثانياً) ردوا قائلين اذا ثبت مما تقدم ان محمداً استحسن خرافات اليهود وروايات العرب الوثنيين عبدة الاصنام ورسومهم حتي ادرجها في القرآن فما الفرق بين هذا وبين استحسانهِ لقصص الفرس. اما من جهة

القصص الكثيرة الواردة في القرآن فمن المسلّم الذي لا يُنكر ان هـذه القصص تواترت بين العرب تواتراً عظيماً حتى قال الكندي عنها ما نصه « فان ذكرتَ قصة عاد وثمود والناقـة واصحاب الفيل ونظائر هذه القصص قلنا لك هذه اخبار باردة وخرافات عجائز الحي اللواتي كن يدرسنها لياليهنّ ونهارهنّ » و (ثالثاً) يُعلَم من سيرة الرسول تأليف ابن هشام وابن اسحق انهُ كان من صحابة محمد شخص فارسي اسمهُ سلمان وهو الذي اشار على محمد وقت حصار المدينة بحفر الخندق فسمع قوله واتبع نصيحتهُ . وكذلك سلْمَان الفارسي هذا كان اول من اشار على محمد باستعمال المنجنيق في غزوة ثقيف الطائف واكّد اعداء محمد في عصره ان سلْمَان هذا ساعد محمداً على تأليف القرآن كما ورد ذلك في (سورة النحل ١٦ الآية ١٠٥) ونص القول « وَلَقَدْ نَعلَمُ أَنَّهُم يَقُولُونَ إِنَّما يُعلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الّذي يُلحِدُونَ إِلَيْهِ أَعجَمِيٌّ وَهذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ » فلا شك اذا قال المعارضون الاوّلون لمحمد ان هذا العجمي او الفارسي المسلم كان سبب حسن تأليف القرآن وفصاحة عبارته فهذ

الجواب يكفي لدحض اقوالهم . ولكن بما انهُ ثبت ان كثيراً من المطالب الواردة في القرآن وفي الاحاديث تطابق مطابقة غريبة لما ورد في كتب الزردُشتية فهذه الآية القرآنية لا تكفي لدحض الاعتراض الذي عزّز الآن ببراهين جمة وادلة مهمة . بل نقول ان الآية التي اوردناها تدل على انهُ كان اشتهر في عصر محمد ان سلمان الفارسي ساعد محمداً على التأليف وافادهُ حقائق كثيرة

فينتج من ذلك اننا ملزمون ان نسلم ان كتب الزردُشتية كانت مصدراً من المصادر التي اتخذت بعضاً منها الديانة الاسلامية .

الفصل السادس

بخصوص الحنفآء وتأثيرهم على افكار محمد وعلى تعاليمه

انهُ قبل ظهور محمد وادعائهِ النبوة سئمت انفس بعض العرب من عبادة الاصنام واخذوا يبحثون على الدين الحقيقي ولما عرفوا من اليهود وربما بعض اخبار تسلسلت اليهم بالتقاليد

والتواتر من الازمنة القديمة ان ابرهيم كان يعتقد بوجود الله الحي الحقيقي الوحيد فلذا اخذ بعض العرب المقيمين في مكة والمدينة والطائف في البحث والتحري لمعرفة دين خليل الله ونبذوا عبادة الاصنام. فكانوا يسمّون الذين وجهوا انظارهم وافكارهم الى هذه القضية المهمة الحنفاء ومن هولاء أبو أمير واصحابه في المدينة وأُميّة بن زلط في الطائف واربعة من سكان مكة وهم ورقة وعبيد الله وعثمان وزيد . فقال المعترضون ان اراء هولاء القوم الحنفآء وقدوتهم ومثالهم ومحادثتهم مع محمد ولا سيما زيد بن عمرو أثَّر في افكار محمد تأثيراً عظيماً وأثَّر في ديانتهِ . واستدلوا على تأييد اقوالهم بما ورد في القرآن ذاته . ولكي يتأكد مطالعو كتابنا هذا من صحة هذا القول او فساده يجب عليهم ان يطالعوا ما قالهُ ابن اسحق وابن هشام بخصوص حنفآء مكة. ومما يجب التنبيه عليهِ هو مع ان كثيرين ألّفوا كتباً في سيرة محمد الاّ ان كتاب ابن هشام المسمى سيرة الرسول هو اجدر هذه الكتب بالاعتماد واحقها بالاعتبار لانهُ اقدمها واقرب منها الى عصر محمد . واول من

جمع اقوال محمد وافعاله هو الزُهري الذي توفي سنة ١٢٤ من
الهجرة. فنقل اخباره من التواتر الذي اخذهُ عن الصحابة ولا سيما
من عُرْوَة احد اقرباء وانسباء عائشة. ولاشك انهُ مع تمادي
الزمان ومرور سنين عديدة عبث بهِ العابثون فدخلت في
اخبارهم الاغلاط والمبالغات . ومع ذلك لو كان كتاب الزهري
موجوداً ولم تغتلهُ ايدي الضياع لكان مفيداً للمحققين الذين
يودون معرفة حقائق الامور بخصوص محمد لان هذا الكتاب
هو اقدم من غيره . وبالنتيجة يكون جديراً بالاعتماد عن اي
كتاب اخر أُلّف عن سيرة محمد . ومع ان ايدي الضياع اغتالت
هذا الكتاب ولم يبق لهُ اثر بعد عين الاّ ان ابن اسحق الذي
توفي في سنة ١٥١ هجرية كان احد تلامذة الزهري الذين
اخذوا العلم عنهُ. فابن اسحق ألف كتاباً آخر في هذا الصدد
ونقل ابن هشام الذي توفي في سنة ٢١٣ هجرية في كتابهِ
المسمى سيرة الرسول اجزآء كثيرة من كتاب ابن اسحق
فاعتمادنا اذن في نقل اخبار الحنفآء هو على سيرة الرسول تأليف
ابن هشام . وقد وردفيها ما نصه « قال ابن اسحق واجتمعت

قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم كانوا يعظمونهُ
وينحرون لهُ و يعكفون عنده و يديرون بهِ وكان ذلك عيداً لهم
في كل سنة يوماً فخلص منهم اربعة نفر نجياً . ثم قال بعضهم
لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجلّ وهم ورقة
بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة
بن كعب بن لؤى وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر
بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة
وكانت أمهُ اميمة بنت عبد المطلب وعثمان بن الحويرث بن
اسد بن عبد العز بن قصى وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد
العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن
كعب بن لوى . فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على
شيء لقد اخطأوا دين ابيهم ابرهيم ما حجر نطيِّف به لا يسمع
ولا يبصر ولا يضرّ ولا ينفع . يا قوم التمسوا لانفسكم فانكم والله
ما انتم على شيء . فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين
ابرهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب
من اهلها حتى علم علماً من اهل الكتاب واما عبيد الله بن

جحش فاقام على ما هو عليه من الالتباس حتى اسلم ثم هاجر
مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته ام حبيبة بنت ابي سفيان
مسلمة . فلما قدمها تنصر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك
نصرانياً . قال ابن اسحق فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال
كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمرّ باصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم هنالك من ارض الحبشة فيقول فقحنا
وصأصأتم اي ابصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد
وذلك ان ولد الكلب اذا اراد ان يفتح عينيهِ لينظر صأصأ
لينظر وقوله فقح فتح عينيهِ . قال ابن اسحق وخلف رسول الله
صلعم بعده على امرأته ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب . قال
ابن اسحق وحدثني محمد بن علي بن حسين ان رسول الله صلعم
بعث فيها الى النجاشي عمرو بن امية الضمري فخطبها عليه
النجاشي فزوّجه اياها واصدقها عن رسول صلعم اربعمائة دينار
فقال محمد بن علي ما نرى عبد الملك ابن مروان وقف صداق
النساء على اربعمائة دينار الا عن ذلك . وكان الذي املكها للنبي
صلعم خالد بن سعيد بن العاص . قال ابن اسحق واما عثمان بن

الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده (قال ابن هشام) ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث يمنعني من ذكره ما ذكرت في حديث الفجار . قال ابن اسحق واما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية . وفارق دين قومهِ فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابرهيم وبادى قومه بعيب ما هم عليه. قال ابن اسحق وحدثني هشام بن عروة عن ابيه عن أمهِ أسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت. لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد ابن عمرو بيده ما اصبح منكم احد على دين ابرهيم غيري ثم يقول اللهم لو اني اعلم اي الوجوه احب اليك عبدتك بهِ ولكنني لا اعلمه. ثم يسجد على راحته قال ابن اسحق وحُدِثت ان ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله صلعم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث امة وحده (قال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين

قومه وما كان لقي منهم في ذلك)

أربًّا واحداً ام الف رب   أدين اذا تقسمت الامور

عزلت اللات والعزَّى جميعاً   كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا عزَّى ادين ولا ابنتيها   ولا صنمَيْ بني عمرو ازور

ولا غنماً ادين وكان ربًّا   لنا في الدهر اذ حلمي يسير

عجبت وفي الليالي معجبات   وفي الايام يعرفها البصير

بان الله قد افنى رجالاً   كثيراً كان شأنهم الفجور

وابقى آخرين ببسر قوم   فيربل منهم الطفل الصغير

وبينا المرء يعثر ثاب يوماً   كما يتروّح الغصن المطير

ولكن اعبد الرحمن ربي   ليغفر ذنبي الرب الغفور

فتقوى الله ربكم احفظوها   متى لا تحفظوها لا تبور

ترى الابرار دارهم جنان   وللكفار حاميةٌ سعير

وخزيٌ في الحيوة وان يموتوا   يلاقوا ما تضيق بهِ الصدور

(الجزء الاول من سيرة الرسول صحيفة ٧٦ و ٧٧)

فافادنا ابن هشام ان خطاباً الذي كان عم زيد طرَدهُ من مكة والزمه ان يقيم على جبل حرِآء امام تلك المدينة ولم يأذن له

بالدخول الى مكة (سيرة الرسول جزء اول صحيفة ٧٩)

وكذلك نستفيد من هذا الكتاب ان محمداً كان معتاداً ان يقيم في غار جبل حرآء في صيف كل سنة للتحنث حسب عادة العرب . فالارجح انه كان يجتمع بزيد بن عمرو فانه كان احد اقربائهِ . واقوال ابن اسحق تؤيد هذا القياس لانه قال انه لما كان محمد في ذات هذا الغار واذا بجبريل اتاهُ وهاك نص عبارة ابن اسحق « ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحرآء في شهر رمضان . . . . كان رسول الله يجاور في حرآء من كل سنة شهراً وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرّر . . . . قال ابن هشام تقول العرب التحنُّث والتحنُّف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء » (جزء ١ صحيفة ٨٠ و ٨١)

فكل من له اطلاع على القرآن والاحاديث يرى مما تقدم ان ارآء زيد بن عمرو اثرت تأثيراً مهماً جداً في تعاليم محمد لان كل الارآء التي ذهب اليها زيد نجدها في ديانة محمد ايضاً. وهذه الارآء هي (١) منع الوأد (٢) رفض عبادة الاصنام (٣)

الاقرار بوحدانية الله (٤) الوعد بالجنان (٥) الوعيد بالعقاب في سعير وجهنم (٦) اختصاص المولى سبحانه وتعالى بهذه الاسماء وهي . الرحمن . الرب . الغفور . واعلم ان محمداً ذاته قال ما قال زيد بن عمرو لان زيداً وكل واحد من الحنفاء قال انهم يبحثون عن (دين ابرهيم) غير ان زيداً قال انه ادرك ضالته المنشودة ونال غايته المقصودة وهي انه وجد هذا الدين وان محمداً ذاته ادعى ان غايتهُ هي دعوة الناس الى دين ابرهيم بواسطته . وكثيراً ما اطلق القرآن على ابرهيم انه حنيف مثل زيد واصحابه وان كان اطلاقه هذا اللقب في القرآن على ابرهيم يفيد ذلك بطريق الالتزام . ولتأييد هذا نورد من القرآن بعض آيات قليلة فنقول ورد في (سورة النساء ٤ الآية ١٢٤) مانصه « وَمَن احسنُ ديناً ممن اسلم وجههُ لله وهو محسنٌ واتبعَ ملةَ ابرهيمَ حنيفاً واتخذ اللهُ ابرهيمَ خليلاً » وكذلك ورد في (سورة آل عمران ٣ الآية ٨٩) ما نصه « قُلْ صدَقَ اللهُ فاتبعوا ملةَ ابرهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين » وكذلك ورد في (سورة الانعام ٦ الآية ١٦٢) « قُلْ إنني هداني ربي الي صراطٍ مستقيم ديناً قِيَماً ملةَ ابرهيم

حنيفاً » فكل من له المام بتراكيب اللغة العربية وقواعدها يرى
مع ان القرآن لم يطلق على ابرهيم بطريق المنطوق انه حنيف
الا انه اطلق عليه بطريق المفهوم انه كان حنيفاً وحضَّ القرآن
اصحاب محمد على قبول ملة ابرهيم وان من قَبِل ملة ابرهيم كان
من عداد الحنفاء . ومع ان اصل كلمة حنيف في اللغة العبرية
والسريانية تفيد نجس او مرتدّ الاّ انه لما اطلق عبدة الاصنام
من العرب على زيد واصحابه لفظ الحنفاء كان مقصودهم ان
يوسموهم بالارتداد لانهم تركوا ديانة اسلافهم عبدة الاصنام
فاستحسن محمد والعرب الحنفاء ان يختصوا بهذا اللقب وفسروا
هذه اللفظة تفسيراً حسناً وصبغوها بمعنى مناسب . ولعلّ الذي
حملهم على ذلك هو انهم لم يروا هم ذاتهم فرقاً بين التحنُّف
والتحنُّث ولا ننسى ان هؤلاء الاشخاص الاربعة الذين دُعوا
حنفاء كانوا من اقرباء محمد لانهم تناسلوا جميعهم من لؤى

وزد على هذا ان عبيدالله كان ابن خالة محمد وتزوج محمد ام حبيبة
ارملة عبيد الله . وايضاً كان ورقة وعثمان ابني عم خديجة كما يعلم
ذلك مما اورده ابن هشام في النسب المذكور في سيرة الرسول

(صحيفة ٦٣ و ٧٦ من الجزء الاول) وقد ذكرنا بعض هـذا النسب في ما تقدم . فينتج من هذا انه كان يستحيل ان آراء زيد وغيره من الحنفاء ومذاهبهم واقوالهم وتعاليمهم لا تُحدِث في افكار محمد اثراً مهماً جداً . وفي الختام نقول مما يجب التنبيه عليه هو مع انه لم يؤذن ولم يصرّح لمحمد حسب الحديث الذي ذكره البيضاوي في تفسيره على (سورة التوبة الآية ١١٤) ان يستغفر لآمنة والدتهِ الاّ انه استغفر لزيد بن عمرو كما ذُكر سابقاً . فقال انه سيبعث زيد امةً وحده في يوم القيامة وهـذا بمثابة تصديق محمد على مبادئ زيد بن عمرو وعلى مدعاه

ولكن ربما يتصدى انسان بالرد على ما ذُكر في هذا الفصل وفي غيره من فصول هذا الكتاب السابقة قائلاً . اذا فرضنا ان مصادر الاسلام التي اوردها المعترضون المزيفون للاسلام هي المصادر الحقيقية له فاذن لا يكون اثر لمحمد ذاته في كل ديانته وهذا غير ممكن. قلنا في الرد على ذلك ان المعترضين على الاسلام يقولون انه لما كان محمد شارعاً في ايجاد دينه فلا يمكن عدم ظهور امياله وخلاله في هذا الدين يعني لا بد ان

تظهر خلاله واميالة في الدين الذي يسنّهُ لان البنَّاء او المهندس اذا بنى بيتاً من حجارة متنوعة من اللَبِن وقوالب الآجرّ فلا بد ان تظهر حذاقتهُ وكفاءته في تنظيم هذه المواد بان يجعلها في ترتيب محكم ونظام مبرم وعلى كل حال لا بد من ظهور غايات البناء والمهندس ومهارته في البناء الذي يشيده . فعلى هذا القياس يقال في الديانة الاسلامية فبما انها تشكلت بشكل خصوصي يختلف عن سائر الاديان الاخرى من وجوه كثيرة عند المقارنة بها . فنقول بناءً على هذا ان باني او مهندس هذا البناء كان عاقلاً مقتدراً . ويستدل على فصاحة محمد من فصاحة عبارة القرآن وبصرف النظر عن كل هذا ففي القرآن آثار ظاهرة وقرائن معينة تدل على الحوادث والوقائع التي حصلت في تاريخ محمد. مثلاً كان محمد قبل الهجرة مجرداً عن الشوكة والسطوة الدنيوية فلذلك لا ترى في الآيات التي كتبها قبل الهجرة ذكراً للجهاد لنشر دعوته وتعميم ديانتهِ . ولكن بعد الهجرة لما صار سكان المدينة من انصاره اذن (اولاً) لاصحابهِ بالكفاح والحرب للذب والدفاع عن انفسهم وبناءً عليهِ ورد في (سورة الحج ٢٢ الآية ٤٠ و ٤١) ما نصهُ

« أُذِن للذين يُقاتِلون بأنهم ظُلِموا . . . الذين أُخرِجوا من ديارهم بغير حقٍ الاّ ان يقولوا ربُّنا الله » وقال ابن هشام في سيرة الرسول (الجزء الاول صحيفة ١٦٤) عن عروة وغيره من اصحاب محمد ان الاذن بالحرب ورد اولاً في هاتين الآيتين و (ثانياً) لما انتصر محمد وصحابتهِ في جملة غزوات تغيَّر هذا الاذن الى فرض اي امر واجب . وبناءً على هذا ورد في (سورة البقرة ٢ الآية ٢١٢ و ٢١٤) « كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كرْهٌ لكم . . . يسئلونكَ عن الشهر الحرام قِتالٌ فيهِ قُلْ قتالٌ فيهِ كبيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ الله وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ واخراجُ أهلهِ منهُ اكبرُ عند الله والفتنةُ اكبرُ من القتلِ » ومعنى هاتين الآيتين ان الواجب على المسلمين ان يكافحوا ويلزموا قريشاً على عدم التعرض لهم ومنعهم عن السفر الى الكعبة و (ثالثاً) لما هزم المسلمون في السنة السادسة من الهجرة بني قريظة و بعض طوائف اليهود الاخرى شدد في الحض على الجهاد كما ذكر في (سورة المائدة ٥ الآية ٣٧) « انما جزاء الذينَ يُحاربونَ اللهَ ورسولَهُ ويَسعوْنَ في الارض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ أو يُنفَوا من

الارضِ ذلك لهم خِزْيٌ في الدنيا ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيم»
قال المفسرون ان هذا الامر يختص بما يجب معاملة عبدة الاصنام
به ولا دخل لهُ في معاملة اليهود او النصارى . ولكن بعد هذا
بعدة سنين وضعت وسنت القوانين التي يجب على المسلمين مراعاتها
نحو اهل الكتاب وذلك في السنة الحادية عشرة بعد الهجرة قُبَيل
وفاة محمد (رابعاً) انه فرض على المسلمين في (سورة التوبة
٩ الآية ٥ و ٢٩) وهي آخر سورة نزلت ان يبتدئوا الحرب وذلك
بعد الاربعة اشهر الحرم ونص العبارة « فاذا انسلخَ الاشهرُ
الحُرُمُ فاقتلُوا المشركينَ حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم
واقعُدوا لهم كلَّ مَرصدٍ فان تابوا واقاموا الصلوةَ وآتوا الزكوةَ
فخلُّوا سبيلهم ان اللهَ غفورٌ رحيمٌ ... قاتِلوا الذين لا يؤمنون باللهِ
ولا باليومِ الآخر ولا يُحرّمون ما حرَّم اللهُ ورسولهُ ولا يدينون
دينَ الحقّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ
وهم صاغرون »

ومقتضى قواعد القرآن الست ان ارادة المولى العليم الحكيم
المنزه عن التغيير والتحول والانتقال تغيرت بالنسبة الى فوز

وانتصار محمد واصحابهِ في الحروب وفي تقدمهم بالتدريج المكالل بالانتصار . ويظهر ذلك بنوع جلي فيما قرره فقهاء الاسلام ان بعض آيات القرآن منسوخة و بعضها ناسخة وهو مطابق لما ورد في (سورة البقرة٢ الآية ١٠٠) ونص عبارتها « ماننسخُ من آيةٍ اوننُسها نأت بخيرٍ منها اومثلها ألم تعلم انَّ اللهَ على كل شيءٍ قدير » وسبب ذلك ان محمداً كان يؤمل انه اذا خلط اديان اليهود والمسيحيين و بعض رسوم دينية عند العرب تيسر لهُ ان يؤلف ديناً يدين به جميع سكان جزيرة العرب ويقبلونه ويكونون أمة واحدة. فبذل غاية ما في وسعهِ ليجذب اليهِ هذه الطوائف المختلفة كلها وهـذه الملل المتنوعة المتفرقة (ويجمعهم الى أمة واحدة) ويجعلهم اتباعه . ولكنه لما رأى اثباط واحباط هذا المسعى و بطلانه عزم على استئصال اليهود والمسيحيين لقطع دابرهم او نفيهم من بلاد العرب اقل ما يكون كما هو واضح من منطوق القرآن

ويظهر زيادة على ذلك مما ورد في (سورة الاحزاب ٣٣ الآية ٣٧) بخصوص امرأة زيد ابنه المتبنَّى ظهور الشمس في

رابعة النهار ان صفات محمد وخلاله واطواره احدثت اثراً مهماً جداً على القرآن وهذا واضح مما ورد في القرآن والاحاديث بخصوص تعدد الزوجات

ولاشك ان مجموع المواضيع والمطالب والتعاليم المدونة في القرآن والاحاديث هي مثل انواع واقسام مياه آتية من انحاء شتى ومن ينابيع متفرقة فتجمعت الى بحيرة . غير ان الاناء (او الظرف) الذي اكسب هذه المياه المتجمعة شكلها وهيئتها هو عقل محمد ونفسهُ وسجيته وطبيعته

ولا ينكر ان كثيراً من التعاليم الواردة في القرآن ولا سيما التعاليم المختصة بوحدانية الله القدوس هي مفيدة ونافعة بل لا ننكر وجود بعض الصدق والفائدة في الاقوال المختصة بالميزان والجنة وشجرة الطوبى . ولكن من اراد ان يشرب مآءً رائقاً نقياً لا ينبغي له ان يرد مورد المآء المعكر المكدر بل عليه ان يرد اصل وينبوع نهر مآء الحيوة الذي كثيراً ما يشهد القرآن له نفسه . وهذا الينبوع هو كتب الانبياء والحواريين التي قال عنها القرآن مايأتي وهو « انّا انزلنا التوراةَ فيها هدًى ونورٌ . . .

وقفّينا على آثارهم بعيسى بنِ مريمَ مصدّقاً لما بين يديه من التوراةِ وآتيناهُ الانجيلَ فيهِ هُدًى ونورٌ ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدًى وموعظةً للمتّقين (سورة المائدة ٥ الآية ٤٨ — ٥٠) فهذه الشهادة التي شهد بها القرآن نفسه للكتاب المقدس (اي التوراة والانجيل) تغافل عنها المسلمون ونبذوها في زوايا النسيان او اهملوها او اوّلوها وصرفوها عن اذهانهم ولكنها هي اهم اركان تعاليم القرآن . وزد على هذا ان محمداً حضَّ اتباعه على التمسك بدين ابرهيم خليل الله . ومن اراد معرفة دين ابرهيم وجب عليه ان يستقصي توراة موسى فيستفيد منها ان الله سبحانه وتعالى وعد ابرهيم ان يتناسل من نسله ومن نسل اسحق ابنه المخلص الوحيد الرب الحقيقي يسوع المسيح . وان ابرهيم اعتمد على هذا الوعد وآمن بالمخلص الموعود بهِ فنال خلاصاً ودعي خليل الله كما ورد ذلك في (رسالة يعقوب الاصحاح ٢ الآية ٢٣) ولتأييد صدق كلامنا نورد بعض آيات من الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) فورد في شريعة موسى (سفر التكوين الاصحاح ١٧ الآية ١٨ — ٢١) انه قبل مولد اسحق كان ابرهيم

هرماً وطلب من المولى ان يقبل اسماعيل وارثاً للوعد قائلا « ليت اسمعيل يعيش امامك » فرفض الله هـذا الطلب وان كان وعد بان يبارك اسمعيل بالرخاء الدنيوي وقال له « بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق واقيم عهدي معه عهداً ابدياً لنسله من بعده واما اسمعيل فقد سمعت لك فيه ها انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً اثني عشر (*) رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة ولكن عهدي اقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في مثل هذا الوقت في السنة الآتية » وقد قال الله لابرهيم ثانية ما نصه كما ورد في (سفر التكوين الاصحاح ٢٢ الآية ١٨) وهو « ويتبارك في نسلك جميعُ امم الارض من اجل انك سمعت لقولي » يعني لانك رضيت أن تقدم ابنك اسحق ذبيحة لله كما ورد في هذا الاصحاح . وقال الرب يسوع المسيح نفسهُ لليهود في الانجيل الشريف مشيراً الى هذا الوعد والى اعتماد ابرهيم عليهِ ما نصهُ « ابوكم ابرهيم تهلل بان يرى يومي فرآى وفرح »(يوحنا الاصحاح٨الآية٥٦) وقال بولس الرسول

(*) وردت اسماؤهم في تكوين الاصحاح ٢٥ الآية ١٣-١٦

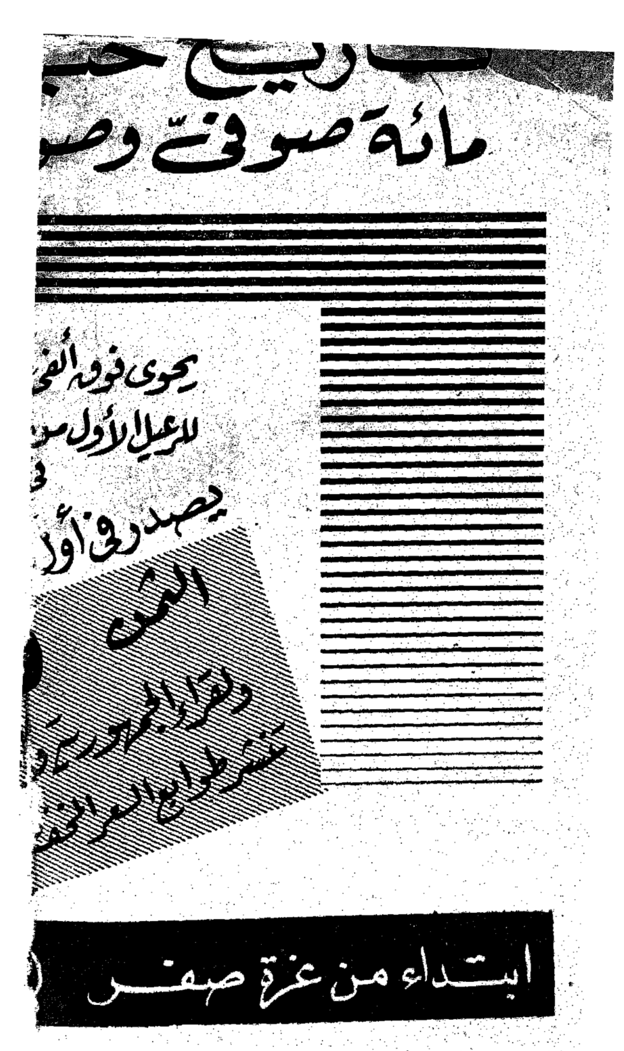
بالوحي الالهي في رسالتهِ الى اهل غلاطية (الاصحاح ٣ الآية ١٦ و٢٩) ما نصهُ عن هذا الصدد « واما المواعيد فقيلت في ابرهيم وفي نسلهِ لا يقول وفي الانسال كانهُ عن كثرين بل كانهُ عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح ... فان كنتم للمسيح فانتم اذاً نسل ابرهيم وحسب الموعد ورثة »

نطلب من الرحمن الرحيم الهادي الحكيم الذي انجز وعده الازلي بان ارسل يسوع المسيح فولد من ذرية ابرهيم ومات عن خطايانا وقام ثانية لتبريرنا ان يوفّق المؤلف الحقير والمطالع النبيه ذا الفضل الغزير للتمتع بهذا الخلاص الشريف والميراث المنيف فيحظيا بالمجد الدائم والابتهاج الملازم بمنه وكرمه وفضلهِ انهُ المولى القدير وبالاجابة جدير . آمين

(تم)



فهرست الكتاب



مائة صوفيّ
يصدر في أول
ابتداء من غرة صفر